من رسائل الإمام الشهيد

حسن البنا

الله

في العقيدة الإسلامية

مع هذه الرسالة

إلى الشباب

رسالة الجهاد

المناجاة

297

Bibliotheca Alexandrina

0241029

اهداءات ٢٠٠٠

ا.د. فتح الله خليف
أستاذ الفلسفة بآداب الإسكندرية

من رسائل الإمام الشهيد
حسن البنا

الله

في العقيدة الإسلامية

مع هذه الرسالة

إلى الشباب
رسالة الجهاد
المناجاة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن قام بدعوته الى يوم الدين .

الكتاب الذى بين يديك — أيها القارىء الكريم — يضم أربعة رسائل **للامام الشهيد حسن البنا** — رضى الله تعالى عنه وأرضاه — وهى : **« الله فى العقيدة الاسلامية ، والمناجاة ، والى الشباب ، ورسالة الجهاد »** . . . واذا لم يكن لنا فى الحقيقة والواقع خيار فى ضم هذه الرسائل فى كتاب واحد الا ان ذلك كان أمرا . . لا ضرر منه ولا ضرار . . ذلك انه اذا كان الاسلام كما أوضحه **الامام الشهيد** رضى الله عنه عقيدة وعبادة ، ودينا ودولة ، ومصحفا وسيفا . . فقد تلقى كل رسالة من هذه الرسائل ضوءا على هذا الجانب من النظام الاسلامى الشامل . . واذن فلا بأس بهذه الرسائل فى كتيب واحد .

وقد آثرنا أن نبدأ بالبحث الأول عن **« الله فى العقيدة الاسلامية »** تيمنا بلفظ الجلالة واستلهاما للتوفيق والسداد من الله عز وجل (وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) وقد نشر هـذا البحث فى كل من العدد الثانى والثالث والرابع من مجلة الشهاب التى كان يصدرها الامام الشهيد حسن البنا فى غرة صفر ، وربيع الأول ، وربيع الآخر سنة ١٣٦٧ هجرية ، ومن حق كاتب هـذه السطور الامام الشهيد ، وكذلك من حق القارىء أن نذكر هنا أن هذا البحث لم يتم فصولا ، فقد كانت له بقية كما أشير الى ذلك فى نهاية المقال الثالث . . حال دون نشرها استشهاد الامام الشهيد رضى الله تعالى عنه وأرضاه .

ولكن رغم ذلك فان تلك المقالات الثلاث ذاخرة بفيض من حكمة

الامام الشهيد وبلاغته ، وحسبك أن تقرأ فيها كيف رد الامام على الذين يزعمون بأن الدين أفيون الشعوب ، وكيف تعرض الامام الشهيد لمشكلة القضاء والقدر ، فذكر فى سطور عدة ، مالايكفيه كتاب كامل ، وذلك حيث يقول الامام :

« ان الايمان بالقضاء والقدر كما جاءت به الاديان السماوية مفروض على المؤمنين فى النتائج لا فى الأسباب .. فهم مطالبون بالأسباب ، مفروض عليهم السعى لها ، والأخذ بها ، مطالبون بعد ذلك بأن يتركوا النتائج لله مدبر الكون ، الواحد الأعظم .... وما اتبع الناس هذا التواكل والكسل ، الا يوم آمنوا بعقيدة القضاء والقدر ايمانا معكوسا ، فأخذوا بها فى الاسباب فلم يستعدوا ، ونسوها فى النتائج فلم يرضوا ولا ذنب فى هذا العكس للعقيدة ولا للايمان » .

والرسالة الثانية هى رسالة « **الى الشباب** » وقد كتبها الامام الشهيد حسن البنا منذ أكثر من اربعين عاما هجرية مضت فى رمضان سنة ١٣٥٧ هـ ، وهو بعد لم يجاوز سن الشباب انفسهم .. ويوم أن تلقاها شباب الجامعات فى ذلك الوقت وتلقفها الرعيل الأول من طلاب الاخوان المسلمين بالجامعة ، وقفوا سدا منيعا ضد العلمانية والعلمانيين بالجامعة ، وكانت هذه الرسالة هى عصا التحويل .. هى المنطلق لذلك التيار الاسلامى الجارف فى الجامعة .. هى همزة الوصل بين العلم والدين منذ ذلك التاريخ الى الآن .

هذه الرسالة نقدمها اليوم الى شباب الجامعات فالمعركة مستمرة بين الحق والباطل ، كانت وستظل الى يوم القيامة . « يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها » .. نقدمها آملين أن يقوم شباب الجامعات اليوم بما قام به أسلافهم بالأمس ليصدق فيهم قول الشاعر :

تبنى ونفعل مثل ما فعلوا   نبنى كما كانت أوائلنا

أما الرسالة الثالثة فهى « **رسالة الجهاد** » وهى تعالج تلك القضية التى هتف بها صاحب الدعوة الأولى ، منذ أن هتف بدعوته ، وشاهد المسلمين مستذلين لغيرهم ، محكومين بالكفار ، قد ديست أرضهم ،

وانتهكت حرماتهم ، وتحكم فى شئونهم خصومهم وتعطلت شعائر دينهم فى ديارهم ، فضلا عن عجزهم عن نشر دعوتهم ، فوجب وجوبا عينيا لا مناص منه أن يتجهز كل مسلم،وأن ينطوى على نية الجهاد ، واعداد العدة له ، حتى تحين الفرصة ويقضى الله أمرا كان مفعولا .. نعم تعالج هذه الرسالة قضية الجهاد الذى اتخذها الامام الشهيد شعارا لدعوته ونبراسا لفكرته « **الجهاد سبيلنا والموت فى سبيل الله اسمى امانينا ..** »

ووقف فى محنة سنة ١٩٤٨ وقد أحيط به من كل جانب واعتقل اخوانه وأحبابه . موقف الأبطال الصناديد ... وقف وقفة الحسين فى كربلاء ... وقفة كانت أحسن الى صاحبها من الدنيا وما فيها :

أيا صاحبى قف لى مع الحق وقفة
أن شابها وجدا وأصابها وجدا
وقل للملوك الأرض تجهد جهدها
هذا الملك ملكى لا يباع ولا يهدى

هذه الرسالة نقدمها اليوم الى الذين لا يجدون حلا لمشكلة الشرق الأوسط .. والحل بين أيديهم .. هو ما تضمه هذه الرسالة من الآيات القرآنية الكريمة والاحاديث الشريفة . لو آمنوا بما فيها وعملوا بما بها وحسبك دليلا على ذلك ما قام به الشباب المسلم فى السويس حفظة كتاب الله تبارك وتعالى فى حرب رمضان عام ١٣٩٣ هـ حين ردوا **وهدهم** على قلة من العدة والعتاد والتدريب جيش اسرائيل الذى عبر القناة وفتح الثغرة .

والرسالة الاخيرة أيها القارىء الكريم هى « **رسالة المناجاة** » وهى توأم رسالة المأثورات نقدمها زادا للمتقين العابدين القائمين بآيات الله آناء الليل وأطراف النهار « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

الرسائل الأربع .. نقدمها الى الذين يؤمنون بالاسلام نظاما شاملا .. فهو عقيدة وعبادة .. ودين ودولة .. ومصحف وسيف ..

الى رهبان الليل وفرسان النهار نقدم اليهم الزاد والقوة والعتاد.
« والله غالب على أمره » ..

احمد سيف الاسلام حسن البنا

❋ ❋ ❋

الله فى العقيدة الإسلامية

١ *

« هـو الله الـذى لا الـه
الا هو عالم الغيب والشهادة
هو الـرحمن الـرحيم » .

ترددت فى اختيار الكلمة الأولى فى هذا الباب ، باب العقائد طويلا ! أأكتب عن « الدين » ما هو وما صلته بالنفس والمجتمع وما أثره فيهما وما مدى حاجتهما اليه ؟ أم أكتب عن تاريخ العقائد فى الاسلام وما طرأ على أسلوب تصويرها بفعل الأحداث السياسية والاجتماعية والفكرية وتلون هذا الأسلوب بلون العصور التاريخية للأمة الاسلامية؟! أم أدخل فى الموضوع مباشرة فأكتب عن أجل العقائد قدرا وأعمقها أثرا وهى العقيدة فى « الله » . وأخيرا رأيتنى مدفوعا الى هذا المعنى الأخير ولتلك البحوث موضعها ان شـاء الله .

---

* نشرت فى العدد الثانى من مجلة الشهاب الصادرة فى غرة صفر ١٣٦٧ هـ (١٤ ديسمبر ١٩٤٧ م) .

To: www.al-mostafa.com

اسـلوب البحث :

لن ألجأ الى المصطلحات الفنية التى تواضع عليها العلماء المختصون بعلم الكلام ولن أحاول الخوض فى النظريات الفلسفية أو الأساليب المنطقية التى درج عليها المتكلمون حين يعالجون مثل هذه الموضوعات ولكنى سألجأ الى القرآن الكريم والى السنة المطهرة والى ما عرفنا من سيرة الصدر الأول من المؤمنين بهذا الدين وهم لا شك أصفى الناس فطرة وألينهم قلوبا وأدقهم ادراكا للمقاصد وأعرفهم بمواقع الألفاظ والجمل والتراكيب وأعذبهم تذوقا لدقائق المعانى والمشاعر وبهذا كانوا نماذج الكمال لأهل هذا الدين •

وانى لأتمثل الآن فريقين من المؤمنين : فريق الصدر الأول الذى تلقى العقيدة الاسلامية ألفاظا مبسطة تنبض بالحياة وتفيض بالشعور وترف بالجمال والوجدان وتوجه الى العمل الصالح المنتج فلا يعلم للايمان معنى الا ما صوره به القرآن الكريم فى قول الله تبارك وتعالى : **« قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون •• »** الآيات ١ ــ ١١ المؤمنون •

وفريق العصر الأخير الذى تلقى هذه العقيدة مصطلحات فلسفية معقدة وكلمات فنية جامدة ميتة تكد الذهن وتتعب العقل وتضايق الروح وتتشعب بالفكر فى أودية من الفروض والأخيلة والقضـــايا والبحوث والمقدمات والنتائج لا نهاية لها • فما هو الايمان ؟ وما الفرق بينه وبين التصديق ؟ وهل يزيد وينقص ؟ وهل هو الاسلام أو هو غيره ؟ وماذا بينهما من العموم والخصوص ؟ وهل العمل شرط فيه أو ركن من أركانه أو لازم من لوازمه؟الى غير ذلك مماهو من الترف العقلى والاسترسال الفكرى الذى لا صلة له بالنور فى القلب والاشراق فى النفس والتوجه الى العمل •

اتمثل هذين الفريقين فأعتقد أن من واجبنا أن نعود سريعا الى ما كان عليه سلفنا الصالحون وأن نستقى العقيدة من هذا النبع الصافى الذى لا لبس فيه ولا غموض وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه مالك عنه أنه قال : **« تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم »** . ولهذا آثرت أن أسلك فى عرض ما أكتب هذه السبيل وبالله التوفيق .

عناصر العقيــدة الاسلامية :

وتتكون العقيدة فى « الله » فى الاسلام من هذه العناصر :

١ ــ الاعتقاد بوجوده الواجب لذاته غير المستمد من سـواه ووصفه جل وعلا بصفات الكمال كلها نتيجة للنظر فى هذا الكون .

فالله تبارك وتعالى موجود موصوف بالعـلم وبالقدرة وبالحياة وبالسمع وبالبصر وبالجمال وبالحكمة وبالارادة الخ .. وذلك واضح معلوم علم اليقين لكل من نظر فى هذا الكون البديع الصنع فالخالق حكيم لوضوح أسرار هذه الحكمة فى المخلوقات وقادر وعالم بأجمع معانى العلم والقدرة وأسماها لأن هذا الكون البديع لا يكون الا عن علم واسع وقدرة محيطة ــ والقرآن الكريم يعدد هذه الصفات فى كثير من المناسبات ، ومن أجمع آياته فى ذلك خواتيم سورة الحشر **« هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحــكيم »** .

٢ ــ نفى صفات المشابهة والنقص عن الخالق سبحانه • فالتجسيم منفى عنه لأن المادة تتحول والخالق بعيد عن وصف التحول ، والتعدد منفى عنه لأنه تركيب والاله لابد أن يكون واحدا • والأبوة والبنوة بعيدان عن صفاته لأنهما تجزئة وانفصال والخالق لا يتجزأ وهكذا • والقرآن الكريم يقرر هذا فى وضوح ويجادل عنه فى منطق دقيق وحجة بالغة • فيقول فى نفى المشابهة « **فاطر السموات والأرض جعل لكم من انفسكم أزواجا ومن الأنعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير** » • سورة الشورى الآية ١١ « **قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد** » ويقول فى نفى التعدد « **أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون** » سورة الأنبياء ٢١ ، ٢٢ وفى نفى البنوه والتعدد معا : « **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون** » • المؤمنون ٩١ ، وترى ذلك واضحا فى كثير من الآيات التى ناقش بها القرآن الكريم عقائد الأمم السابقة فنفى كل معانى النقص والمشابهة والقصور عن الخالق سبحانه وتعالى •

٣ ــ عدم التعرض للحقيقة والماهية فى الذات والصفات من حيث هما مع الاحتراس الدقيق بتقرير المخالفة التامة بين ماهية ذات الاله وصفاته وماهية المخلوقات وصفاتهم • يقول القرآن الكريم فى سورة الأنعام « **ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل ، لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف**

الخبير » • الأنعام ١٠٢ ـــ ١٠٣ ، وفى الحديث « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا[1] » •

ومن البديهى أن هذا الموقف لا يؤخذ على الاسلام فى شىء ولا يقال انه حجر على العقول وانتقاص من حـــرية الفكر فان العقل البشرى وهو عماد العقيدة فى الاسلام يقف الى الآن موقف العجز المطلق أمام حقائق الاشياء جميعا وكل الذى وصل اليه انما هو الخواص وبعض الصفات والآثار أما البسائط المجردة فلم يصل الى حقيقتها بعد ، وما كان الاسلام ليكلف النـــاس ما لا تستطيع أن تدركه العقول والأفهام •

٤ ـــ رسم الطريق الى معرفة صــفات الخالق وادراك كمالات الألوهية ومميزاتها وآثارها والوصول الى ذلك عن طريق النظر فى الكون نظرا صحيحا وتحرير العقول والأفكار من الموروثات والأهواء والأغراض حتى تصل الى الحكم الصائب • والقرآن يحث دائما على النظر فى الكون والتأمل فى المخلوقات ويرفع من قيمة العقل ويعلى

---

(١) هذا الحديث ورد بألفاظ يتفق معناها . قال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء رواه أبو نعيم فى الحلية بالمرفوع منه باسناد ضعيف ورواه الاصبهانى فى الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه ورواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر وقال هذا اسناد فيه نظر : فيه الوازع بن نافع متروك • وزاد الزبيدى فى الشرح قلت : حديث ابن عمر لفظه « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله » . هكذا رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر وأبو الشيخ فى العظمة والطبرانى فى الاوسط وابن عدى وابن مردويه والبيهقى وضعفه الاصبهانى وأبو نصر فى الابانة وقال غريب ورواه أبو الشيخ من حديث ابن عباس « تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره » ورواه ابن النجار والرافعى من حديث أبى هريرة « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله » الخ .. وتعدد هذه الروايات واجتماعها يكسبها قوة والمعنى صحيح كما قال الحافظ السخاوى فى المقاصد . من تعليق السيد رشيد على رسالة التوحيـــد •

من قدر الفكر ، حتى لقد ذكر العقل فى أكثر من أربعين موضعا مقرونا بالتبجيل والتكريم ، والحث على الجد الى ادراك الحقائق وكشف مستورات الوجود مثل قول الله تبارك وتعالى : « **أن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** » البقرة ١٦٤ ، وقوله تعالى : « **أن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** » آل عمران الآيا ت١٩٠ ــ ١٩١ ، وقوله تعالى : « **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء** » فاطر ٢٧ ، ٢٨ وهو فى هذه الآية يحض على اكتشاف غرائب النبات والحيوان والجماد ثم يرتب على ذلك الخشية من الله اشارة الى ما بين معرفة الكون والعلم به ومعرفة مكونه والعلم به كذلك من صلة .

٥ ــ تقوية الصلة بين الوجدان الانسانى والخالق جل وعلا حتى يصل الانسان بذلك الى نوع من المعرفة الروحية هو أعذب وأصدق أنواع المعرفة جميعا . وذلك أن الوجدان الانسانى أقدر على كشف المستورات غير المادية من الفكر المحدود بقيود المادة ونتائج الأقيسة الحسية ، فالاسلام كثيرا ما يخاطب الوجدان ويستثير الخواص النفسانية الكامنة فى الانسان لتسموا الى حظائر الملأ الأعلى وتستشعر لذة معرفة الله تبارك وتعالى : « **الذين آمنوا وتطمئن**

قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب » الرعد ٢٨ ، وأوضح ما تكون هذه الصلة الخفية بين الضمير الانسانى وبين الخالق عند الشدائد التى تنقطع فيها الآمال الا من الله وحده • ويصور القرآن هذا المعنى فى مثل قول الله تعالى : « **واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه** » الاسراء ٦٧ وقوله تعالى : « **هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم أحيط بهم دعــوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هــذه لنكونن من الشاكرين** » يونس الآية ٢٢ •

٦ ـــ مطالبة المؤمنين بأن تظهر فى أقوالهم وأفعالهم آثار هــذه العناصر العقيدية ، فالمؤمن متى اعتقد أن خالقه قادر كانت النتيجة العملية لهذه العقيدة أن يتوكل عليه وأن يلجأ اليه ، واذا اعتقد أنه عالم راقبه واستولت عليه خشيته ، واذا اعتقد أنه واحد لم يدع سواه ولم يسأل غيره ولم يصرف وجهه الا اليه وهكذا • والآيات فى ذلك كثيرة من مثل قول الله تعالى : « **انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمــانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصــلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقــا لهم درجات عنــد ربهم ومغفرة ورزق كريم** » • الأنفــال ٢ ـــ ٤ •

وبهذا التلخيص والتصوير البديع الدقيق جمع الاسلام كل ما يتصل بالعقيدة فى الله تبارك وتعالى ووضع حدا مانعا من التخبط والتحريف والتفلسف بالباطل والجدل التافه فى أقدس العقائد وأمسها بحيــاة الناس فى الأولى والآخرة ••

واظن أن الذين يفقهون هذه المعانى ويتذوقونها ليسوا بعد ذلك

فى حاجة الى أن يحفظوا أن الواجب فى حقه تعالى ثلاث عشرة صفة هى الوجود والقدم والبقاء ومخالفته تعالى للحوادث وقيامه بنفسه والقدرةو الوحدانية والارادةو العلم والحياة والسمعوالبصر والكلام وبقية الصفاتالعشرين وأنالمستحيل فى حقهتعالى أضداد هذه الصفات وأن الجائز فعل كل ممكن أو تركه ، كما كنا نحفظ ذلك نحن من قبل .

وليســوا فى حاجة كذلكالى التطويل فى معالجة البحوث الفرعية المتصلة بهذه العقائد كبحث الصفات والأسماء وهل هى توقيفية أو قياسية ومتعلقات هذه الصفات المسمى عين الاسم أو غيره ، والعمل شرط فى الايمان أو غير شرط فيه .. الخ مما يتصل بالفلسفة والترف العقلى أكثر مما يتصل بالعقيدة والاطمئنان القلبى .

ووصيتى الى القراء الكرام أن يلاحظوا هذه المقاصد وهم يقرءون كتاب الله تبارك وتعالى ويجتهدون حين القراءة فى التدبر على ضوئها وسيجدون فى ذلك لذة واشراقا لا يعدلهما شىء .

أما ماذا يقول الجاحدون من الملاحدة وبم يرد عليهم فهذا ماسنعرض له — فى الكلمة التالية ان شــاء الله .

* * *

الله فى العقيدة الإسلامية

٢ *

تطور عقيـدة الألوهيـة :

يقول الجاحدون بآيات الله : ان أساس عقيدة الألوهية نوع من « الضعف الانسانى » استحوذ على الانسان الأول حين رأى نفسه وحيداً فى مجاهل هذه الأرض ، هائماً على وجهه بين المغاور والكهوف ، يخشى على نفسه الحيوانات المفترسة ، ويجد الوحشة والحيرة أمام حوادث الكون الغريبة على سمعه وبصره ، ويتلمس الفائدة وسد حاجاته الطبيعية من طعام وشراب ودفء أينما وجد اليها سبيلا ، ويستشعر الراحة واللذة أحيانا فى ضروب من الأعمال أو المشاهدات ، كما يجد الألم والعناء فى أعمال ومشاهدات أخرى ، وكل ذلك دفع به الى أن يجد الرهبة لما هو أقوى منه ، والرغبة فيما يفيده وينفعه ، والاعجاب بما يسره ويطمئنه ، فخضع لهذه المعانى جميعا وظهر هذا الخضوع فى صورة عبودية وتأليه . فعبد وأله صنوفا من الحيوان والنبات ، وعبد وأله من هو أقوى منه من بنى الانسان ، وعبد وأله الشمس والقمر والنجوم والكواكب،وصنع التماثيل والرموز،واخترع

---

* نشرت فى العدد الثالث من مجلة الشهاب الصادر فى غرة ربيع الأول ١٣٦٧ هـ (يناير ١٩٤٨ م) .

الصور والطقوس ليعبر بها عن هذه المشاعر ، وعبد وأله النار والنور ، والخير والشر ، وأقام لذلك كله المعابد . وجاء الرسل فاستغلوا فى الانسان هذا الشعور ووضعوا له هذه العقيدة فى « الله » وما هى الا عقيدة وهمية لا وجود لهـــا ولا حقيقة وانما يؤمن بها السذج البســـطاء الذين ينخدعون بالظنـــون وتروج عنـــدهم الأوهـــام ، أما الراسخون فى العلم فى عرفهم ، القائمون على دولة المنطق والفكر ، المستنيرون بثمرات البحث العقلى ، فهؤلاء لا يقيمون وزنا لهذه الآراء وخصوصا وأن أحدا من الناس لم ير هذا الاله بعينه ولم يدركه باحدى حواسه . والحواس هى وسائل المعرفة والادراك الذى لا شك فيه .

ويقولون ان لهذه العقيدة أثرها فى فساد المجتمعات ، فانهـــا تعلم الناس الكسل والتواكل والرضا بالظلم والصبر على الضيم وتخدعهم عن حقهم فى الحياة بما تطبعهم عليه من الضعف والاستسلام وترقب حكم القضاء والاعتماد على القدر ، ولهذا أطلق بعض فلاسفة هذه الفكرة المادية الصرفة على العقائد والأديان « مخدر الشعوب » وجعلوا فى رأس مناهجهم الاصلاحية الاجتماعية أن يحاربوا « الدين » وأن ينزعوا عقائده من صدور أهله بكل سبيل ، وهم بمزاعمهم هذه الباطلة يحاولون أن ينالوا من عقيـــدة الألوهية الحقة الواضحة فى مصدرها وأصلها ، وفى جليل نتائجها وعظيم أثرها ، ولن يستقيم لهم ذلك فانه باطل لا يقوم أمام الحق . « **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون** » سورة الأنبياء الآية ١٨ وهو ناموس الوجود الذى لا يتخلف أبدا « **فأما الزبد فيذهب جفـــاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** » سورة الرعد الآية ١٧ .

لم يكون الوهم ولا تكون الفطرة ؟

ونقول لهؤلاء الجاحدين : انكم حملتم هذا الشعور بالحاجة الى

القوة المساعدة والاشراقة الهادية والسكينة المطمئنة الى الوهم والخيال ولا دليل لكم على ذلك الا مجرد التحكم والتلاعب بالألفاظ ، ولم لا يكون هذا الشعور هو « فطرة الانسان » التى فطره الله عليها ، وهى حقيقة لا وهم معها ولا خيال ، فللانسان مطالبه المادية التى يقوم عليها وجوده البدنى وله كذلك مطالبه النفسانية التى يتم بهـا كيانه الروحى ، وهذه الغرائز من الخوف والخشية والعواطف من الحب والاشفاق والمشاعر من اللذة والسرور هى وسائله الى هذا الرقى النفسانى الذى لا يبلغ الانسان مدارج الكمال فيه الا اذا عرف « الله » **« فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شـيعا كل حزب بما لديهم فرحون »** سـورة الروم الآيات ٣٠ ـــ ٣٢ ٠

دليـــل الفطرة اول الأدلة :

ان هذا الشعور الذى يراه الجاحدون دليلا على الاغراق فى الوهم يراه المؤمنون أول الأدلة على وجود الله تبارك وتعالى وعظمته وتأصل الاعتقاد بذلك فى نفوس البشر أجمعين الا من انحرفت فطرتهم ومرضت قلوبهم فضلوا عن السبيل ، كما يرونه كذلك النبع الصافى لمعرفة الله ٠

قد يختلف البشر فى تصور العقيدة فى « الله » عز وجل ولكنهم لم يختلفوا فى القديم ولا فى الحديث فى الايمان بوجوده وعظمته وضرورة معرفته والاتصال به ٠

وان الجماعة البشرية التى يبلغ تعدادها اليوم ١٥٠٠ مليون من

الأنفس لا تخلو حياة أمة من أممها عن مراسيم العبودية « لله » كائنة ما كانت هذه المراسيم والطقوس .

وان تاريخ هذه الأمم جميعا لم يخل يوما من الأيام من هذه العقيدة ، وان لغات العالم فى القديم وفى الحديث على اختلاف لهجاتها واشتقاقاتها لم تهمل التعبير عما يخالج نفوس الناس من العقائد والمشاعر المتصلة بالله ، فعلى أى شىء يدل هذا كله الا على أن العقيدة فى الله الخالق العظيم ، فطرة فى نفوس البشر فطر عليها الناس يوم خلقهم وصدق الله العظيم **« واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى »** سورة الأعراف الآية ١٧٢ .

سأل رجل جعفر الصادق رضى الله عنه عن « الله » فقال : ألم تركب البحر ؟ قال : بلى ، قال : فهل هاجت بكم الريح عاصفة ؟ قال : نعم ، قال : وانقطع أملك حينئذ من الملاحين ووسائل النجاة ؟ قال نعم ، قال : فهل خطر ببالك وانقدح فى نفسك أن هناك من يستطيع أن ينقذك ان شاء ؟ قال نعم ، قال : فذلك هو « الله » — والى هذا أشارت الآية الكريمة **« واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه »** سورة الاسراء الآية ٦٧ والآية الكريمة **« هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين »** سورة يونس الآية ٢٢ .

دليـــل البداهة :

ولأن العقيدة فى الله تبارك وتعـــالى مصدرها الفطرة الانسانية

أولا ذهب بعض الفلاسفة الى أن وجوده سبحانه وما يتصل بهذا الوجود من معانى العظمة العامة من البداهة التى لا تحتاج الى دليل ، وانما جاء الرسل وتنزلت الكتب لتدل الناس على ما سوى ذلك من صفات الكمال ، وما يجب أن يتنزه عنه الخالق سبحانه من صفات النقص التى لا تليق بجلاله ولترشدهم الى حقه عليهم وحدود صلتهم به وصلته بهم • وليس غريبا أن يصدق العقل الانسانى أو يؤمن القلب الانسانى بشيء بدون برهان ، فهذا شأنه فى كل المسائل البديهة وهى أوليات علومه ومعارفه وأحاسيسه • فالكل أعظم من الجزء حقيقة مقررة بدون برهان ، والواحد نصف الاثنين كذلك ، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان • وقائل هذا القول لم يبعد عن الحقيقة ، ولم يجاف الصواب عند من سلم ادراكه وصحت فطرته •

من الأدلة على صدق العقيدة فى الله :

على أن الأدلة على صدق العقيدة فى الله تبارك وتعالى : وجوده وعظمته وجميل صفاته وتقدسه عن كل نقص واستحقاقه لكل كمال أكثر من أن تحصر ، وهى واضحة بينة فى كل صفحة من صفحات هذا الكون ومظهر من مظاهر هذا الوجود •

تأمل سطور الكائنات فانها
من الملأ الأعلى اليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت سطرها
ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وجود هذه الكائنات على اختلاف طبائعها وخصائصها ونواميسها دليل قاطع على وجود مكونها وقدرته وعظمته ، التناسق العجيب والارتباط الغريب بينها جميعا وما يعرض لها من اختلاف الخواص

والميزات بالتحليل والتركيب وتفـاوت نسب العنـاصر والذرات دليل على واسع علمه ومطلق ارادته ، ومحال أن تكون المادة الصماء أو الصدفة العمياء هي مصدر هذه الحياة النابضة بالحس والحركة ومبعث هذا التناسب والتناسق بين هذه المكونات وانما هو صنع الله الذي أتقن كل شيء« **ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت** » (*) •

من شهادات علماء الكون :

ومن هنا كان علماء الكون من أعرف الناس بالله وأوثقهم اعتقادا به وكانت العلوم الكونية الطبيعية من الوسائل القريبة الى معرفة الله ، والى هذا أشارت الآية الكريمة « **ألم تر أن الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء** » سـورة فاطر الآية ٢٧ — ٢٨ •

وذلك على عكس ما يظنه ويذهب اليه أغرار المخدوعين بقشور من المعرفة ، وزخرف أقوال تلقفوها عن الملاحدة في عصر مضى أوانه وانقضى ابانه ، وهذه بعض أقوال أولئك العلماء الكونيين تنطق بالايمان بالله رب العالمين •

قـال ديكارت : « انى مع شعورى بنقص ذاتى أحس في الوقت نفسه بوجود ذات كاملة وأرانى مضطرا الى اعتقادى بأن هذا الشعور قد غرسته في ذاتى تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال ، وهي « الله » •

(*) سورة الملك الآية ٣ •

وقال اسحق نيوتن : « لا تشكوا فى الخالق فانه ممـا لا يعقل أن تكون المصادفات وحدها هى قاعدة هذا الوجود » .

وقال هرشل : « كلما اتسع نطاق العلم زادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلى لا حـد لقدرته ولا نهاية . فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده » .

وأفاض هربرت سبنسر فى هذا المعنى فى رسالته فى التربية اذ يقول : « العلم يناقض الخرافات ولكنه لا يناقض الدين نفسه ، يوجد فى كثير من العلم الطبيعى الشائع روح الزندقة ولكن العلم الصحيح الذى فات المعلومات السطحية ورسب فى أعماق الحقائق براء من هذه الروح ، العلم الطبيعى لا ينافى الدين والتوجه للعلم الطبيعى عبادة صامتة واعتراف صامت بنفاسة الأشياء التى نعانيها وندرسها ثم بقدرة خالقها ، فليس هذا التوجه تسبيحا شفهيا بل هو تسبيح عملى ، وليس باحترام مدعى وانما هو احترام أثمرته تضحية الوقت والتفكير والعمل ، وهذا العلم لا يسلك طريق الاستبداد فى تفهيم الانسان استحالة ادراك كنه السبب الأول وهو « الله » ولكنه ينهج بنا النهج الأوضح فى تفهيمنا الاستحالة بابلاغنا جميع الحدود التى لا يستطاع اجتيازها ثم يقف بنا فى رفق وهوادة عند هذه النهاية وهو بعد ذلك يرينا بكيفية لا تعادل صغر العقل الانسانى ازاء ذلك الذى يفوت العقل .. » ثم أخذ يضرب الأمثلة على ما ذهب اليه فقال : « ان العالم الذى يرى قطرة الماء فيعلم أنها تتركب من الأوكسجين والايدروجين بنسبة خاصة بحيث لو اختلفت هذه النسبة لكانت شيئا آخر غير المـاء يعتقد عظمة الخالق وقدرته وحكمته وعلمه الواسع بأشـد وأعظم وأقوى من غير العالم الطبيعى الذى لا يرى فيها الا أنها قطرة

ماء فحسب • وكذلك العالم الذى يرى قطعة البرد (قطعة الثلج الصغيرة النازلة مطرا) وما فيها من جمال الهندسة ودقة التصميم لا شك أنه يشعر بجمال الخالق ودقيق حكمته أكثر من ذلك الذى لا يعلم عنها الا أنها مطر تجمد من شدة البرد •

قصـــور العقل الانســـانى :

والفكر الانسانى باجماع المفكرين والعقلاء قاصر عن ادراك كنه ما يحيط به من الموجودات الحسية جميعا فضلا عن القوى والكائنات التى لا تقع تحت حســـه ــ وان كان مجبولا على مواصلة البحث والنظر وتلك هى مهمته ووظيفته التى لا تنفك عنه ولا ينفك عنها ، على أن قصارى ما يصل اليه معرفة بعض المزايا والخصائص والصفات أما الحقائق المجردة والماهيات البسيطة فلم تقع فى دائرة ادراكه بعد • والذى يقوله الراسخون فى العلم أنها لن تقع فى ادراكه ، وأنه كلما حاول بحكم طبيعته الوصول اليها والحصول عليها ، أفلتت منه وتركت بين يديه بعض خصائصها وصفاتها •

العقل الانسانى لم يدرك بعـــد شيئا من حقائق العناصر المبسطة ، وكلما أوغل فى الجرى وراء حقيقتها انقلبت أمامه الى مركبات تضاعف جهله بها ، وبعد أن كان أمام عنصر واحد يجد فى البحث عن حقيقته يصبح أمام عنصرين أو أكثر عليه أن يبحث عن حقائقها من جـــديد ، وقل مثل ذلك من ماهية القوى الكونية التى تبدو فى الحياة واضحة كل الوضـــوح بآثارها ، مجهـــولة كل الجهالة بحقيقتها كالكهـــرباء والمغناطيسية والأثير والجاذبية الى غير ذلك من الأسماء والألفاظ والفروض والمصطلحات التى اخترعها الفكر الانسانى ليستر بهـــا حقيقة جهله **« وما أوتيتم من العلم الا قليلا »** * •

* سورة الاسراء الآية ٨٥

والعقلاء جميعا متفقون على أن قصور العقل عن ادراك كنه حقيقة من الحقائق أو جهله بها ليس معناه عدمها أو خفاؤها فهى واضحة كل الوضوح بآثارها وخصائصها خفية كل الخفاء بأسرارها ودقائق ماهيتهـــا .

ان الفطرة الانسانية تهتف بالانسان دائما وأبدا أن يتعرف الى « الله » وكل مظاهر هذا الكون وموجوداته بما فيها نفس الانســـان لاتجد أمام الفكر الانسانى أى مجال لانكار « وجود الله وعظمة الله » والدلالة الواضحة على « الله » وأن القلب الانسانى اذا صــفا وأشرق تذوق حقيقة لذة الايمان « بالله » ولقد سئل أحد العارفين عن الأدلة التى أقنعته بالايمان بالله فابتسم وقال أغنى الصباح عن المصباح متى احتاج النهار الى دليــل ؟

فقصور العقل الانسانى عن ادراك حقيقة ذات الخالق وصفاته وقصور الحواس الانسانية الكليلة عن الوصول الى شيء من ذلك ليس معناه العدم والجحود والانكار، وكما سلم العقلالانسانى والحس الانسانى بما لم يدركه من هذه القوى المحيطة به فان لزاما عليه أن يسلم برب هذه القوىويسلم وجهه اليه**((وأمرنا لنسلم لرب العالمين))***

أى الطريقين خير ؟

وأما أن عقيدة الألوهية كان لها فى المجتمع الانسانى أسوأ الآثار فقول منقوض من أساسه لا يقوله الا جاهل بتاريخ البشر أو مكابر فى الحق بغير برهان .

وما وقعت هذه المفاسد التى يذكرونها الا حين ترك الناس هذه العقيدة أو آمنوا بها على غير وجهها ، ودواء ذلك الايمان والعلم ليس

---

* سورة الانعام الآية ٧١

الجحود والكفران . ان خلاصة ايمان المؤمنين بالله الحق أنهم موقنون بأن لهم الها اتصف بالكمالات كلها وتنزه عن النقائص كلها ، لا علم أوسع من علمه ، ولاقدرة أعظم من قدرته ، ولا كمال أفضل من كماله ، هو معهم أينما كانوا ، يرى ويسمع ، ويحصى ما يقولون وما يعلمون ، وأنه أمرهم بالخير كله لأنفسهم ولغيرهم ، ونهاهم عن الشر كله لأنفسهم ولغيرهم ، وأن تعرفهم اليه وصلة أرواحهم به هى السعادة كل السعادة والفوز العظيم والنعيم المقيم .

هذا الايمان ــ هو وحده ولاشيء غيره ــ سر حياة الضمير الانسانى ويقظة الشعور والوجدان وعماد الخلق ومصدر الفضيلة فى الانسان ، وعن هذا الايمان وحده تنبعث أكمل الصفات الانسانية الاجتماعية من الايثار والتضحية والحب والرحمة واسداء الجميل والتعاون على البر والتقوى واحتمال مشاق الجهاد والبذل فى سبيل الحق والخير واقرار المثل العليــا فى أرض الله .

ولا يمكن أن يستقيم فرد بغير ضمير حى ووجدان مشرق ومحال أن تنهض أمة بغير الحب والتعاون والبذل والايثار والجهاد .

ومتى فقد الايمان فقدت هذه المزايا جميعا وانقلب المجتمع الى قطعان من الوحش والحيوان يأكل بعضها بعضا ومصداق ذلك فى تاريخ الأمم جميعا فى القديم والحديث على السواء .

ولم ير تاريخ الانسانية انقلابا أعظم ولا اصلاحا أتم ولا حضارة أبقى وأخلد من الانقلابات والاصلاحات والحضارات التى قامت على الأصول والقواعد التى جاء بها الأنبياء العظام موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام وعصــارة هذه الأصول وخلاصتها وأعلاها وأثبتها « الايمان بالله » .

فماذا يريد أولئك الجاحدون أن يفعلوا بأنفسهم وبالناس ؟

القضـــاء والقـــدر :

ودعوى أن الايمان بقضـــاء الله وقدره مدعاة للتواكل معينة على الخمول والكسل ، دعوى منقوضة من أساسها كذلك . فان الايمان بالقضاء والقدر كما جاءت به الأديان السماوية مفروض على المؤمنين في النتائج لا في الأسباب ، فهم مطالبون بالأسباب ، مفروض عليهم السعي لهـــا والأخذ بها ، مطالبون بعد ذلك بأن يتركوا النتائج لله مدبر الكون الواحد الأعظم .

ومن هنا كانت عقيدة الايمان بالقضاء والقدر سر عظمة المسلمين الأولين ، لأنهم أخذوا في الأسباب وبذلوا جهدهم في استقصائها انفاذا لأمر الله ولم يتهيبوا النتائج الضارة المؤلمة رضى بقضاء الله ، ففازوا بالحسنيين ، وكان أحدهم حين يخرج الى الجهاد في سبيل الله لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه وتأمل قول أحدهم :

أي يـــومي من المـــوت أفر   يوم لا قـــدر أم يوم قـــدر
يـــوم لا قـــدر لا أرهبـــه   ومن المقدور لا ينجي الحذر

لترى وتلمس أي معنى من معاني البطولة والشجاعة والاستبسال قذفت به في نفسه عقيدة القضاء والقدر في الوقت الذي لم يكن لهـــا عنده أي أثر في اعداد العدة وتحين الفرصة والخروج الى الصف ومقارعة الأبطـــال .

وما ابتلى الناس بهذا التواكل والكسل الا يوم آمنوا بعقيدة القضاء والقدر ايمانا معكوسا : فأخذوا بها في الأسباب فلم يستعدوا ، ونسوها في النتائج فلم يرضوا ، ولا ذنب في هذا العكس للعقيدة ولا للايمان .

الايمان بالله هو الدواء :

ان الانسانية الحائرة المعذبة الضالة لن تجد دواءها وهداها الا فى ظل عقيدة الايمان بالله ، وجميل قول ذلك الفيلسوف الغربى « لو لم يكن الله موجودا لوجب علينا أن نخلقه » ، وقوله فى عبارة أخرى « يجب أن يزج فى السجن صاحب أية مدرسة يكون شمارها لا يعلم الدين هنا » وليس الدين الا الايمان بالله فهل يطلع ذلك الفجر الذى يغمر فيه هذه القلوب الحائرة المظلمة المتعبة ضياء الايمان بالله وتطلع عليها شمس معرفته بالدفء والحرارة والنور ؟

* * *

الله في العقيدة الإسلامية

٣ *

الأخطاء التي وقعت فيها الشعوب في عقيدة الألوهية وموقف القرآن منها

جاء القرآن الكريم يثبت في النفوس عقيدة الألوهية « الايمان بالله عز وجل » على النحو الذى ذكرناه آنفا ، وسلك الى هذا التثبيت أقوم السبل وأيسرها ، وأكثرها بساطة وسهولة ، والصقها بالفطرة الانسانية ، وأبعدها عن التكلف والتعقيد كما تقدم ، كما عنى القرآن مع هذا التثبيت بتصحيح هذه العقيدة ونفى الأخطاء والأغاليط والخرافات ، ومن أجل ذلك عرض لأوهام الشعوب وأخطاء الأمم الماضية ، ورد عليها ردا مفحما واضحا ، وحاربها حربا قوية صارمة وسد منافذها ومداخلها وذرائعها سدا محكما ، ولم يدع في ذلك زيادة لمستزيد .

وكانت جملة تلك الأخطاء فيما تناوله القرآن الكريم — الوثنية والتعدد والشرك والتبنى وتأليه البشر وغيرهم من خلق الله كالحيوان

---

* نشرت بالعدد الرابع من مجلة الشهاب الصادر في غرة ربيع الآخر ١٣٦٧ هـ (فبراير ١٩٤٨ م)

والشجر والكواكب ، وأصلها جميعا القصور فى الادراك والخطأ فى التصور ، والغلو فى التعظيم والحب ومحاولة ابراز خصائص الألوهية ولوازمها وما يتصل بها وتجسيمها فى صـــور محسة ، ثم ســـوء استخدام هذه الرمزيات الحســـية حتى نسى المقصود الأصلى ، وانتقلت هذه الخصائص واللوازم الى تلك الرموز ، هذا مع سوء فهم التعبيرات الدينية أو تحريفها أو حملها على غير ما تقصـــد اليه ، والتعمق فى الفلسفة النظرية والاسترسال وراء الافتراضات العقلية بغير برهان واضح أو دليل قائم مما يورط فى تخيل ما يتنزه عنه ذات الخالق جل وعلا من حلول أو وحدة أو اتحاد أو غيرها من مزالق الآراء ـــ وكثيرا ما تقع الشعوب فى هذه الأخطاء كلها أو بعضها جملة واحدة ، اذ أن أحدهما كثيرا ما يستتبع غيره ويأخذ بعضها بحجز بعض .

قـــوم نوح :

ذكر القرآن الكريم قوم نوح وأنهم كانوا يعبدون الأوثان وذكر من هـــذه الأوثان « ود » وهو صنم كان لقبيلة كلب بدومة الجندل ، و « سواع » وهو صنم لهذيل ، و «يغوث» وهو صنم غطيف من مراد بالجرف،«ويعوق» وهو صنم همدان،و«نسر» وهو صنم ذى الكلاع من حمير وقال بعض أهل التأويل انهم كانوا قوما صالحين فماتوا ، فصنع القـــوم لهم تماثيل يذكرونهم بهـــا ويرمزون الى تقديرهم اياهم بوجودها ، ثم تطاول عليهم الزمن فنسوا المقصد الأصلى واعتبروها آلهة تعبد من دون الله ، وجاء نوح عليه السلام ليردهم الى الله العلى الكبير فلم يســـمعوا له ولم يطيعوه فعاقبهم الله وفى ذلك يقـــول القرآن الكريم :

« قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصـــارا » • سورة نوح : الآيات ٢١ ــ ٢٥ •

قـــوم ابراهيم :

وذكر القرآن الكريم قوم ابراهيم عليه السلام وســـجل عليهم عبادة الأصنام والأوثان وعبادة الكواكب والنجوم والشمس والقمر والبشر أيضا • ويفهم من الآيات فى ذلك وفى موقف الخليـــل عليه السلام منهم ان ذلك كان أمرا منتشرا بينهم متأصلا فيهم وأنه عليه السلام كان قويا فى دعوتهم الى توحيد الله ثابتا على الحق الذى آمن به وكلف بتبليغه ، واضح الحجة والبرهان أمام باطلهم ، وأنه كان كثيرا ما يحرجهم بوضوح محجته وقوة حجته وحسن تلطفه وبديع أسلوبه ، حتى ضاقوا به ذرعا وأرادوا به كيدا ولم يجدوا له عذابا الا النـــار فقال بعضهم لبعض حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين فقال الله تبارك وتعالى لنارهم **« كونى بردا وسلاما على ابراهيم »**

ورد اسم ابراهيم عليه السلام وقصته فى خمس وعشرين سورة من سور القرآن الكريم فى البقرة • وآل عمران • والنساء • والأنعام • والتوبة • وهود • ويوسف • وابراهيم • والحجر • والنحل • ومريم • والأنبياء • والحج • والشعراء • والعنكبوت • والأحزاب • والصافات وص • والشورى • والزخرف • والذاريات • والنجم • والحديد • والممتحنة والأعلى • وجاءت على صور مختلفة مفصلة أحيانا وموجزة أحيانا أخرى • ومن أروع ما عرضه القرآن الكريم فى ذلك محاجته لقومه فى عبادة الأصنام وفى عبادة الكواكب وفى تأليه البشر •

وفى سورة الأنبياء ابتداء من الآية ٥١ الى الآية ٧١ عشرون آية تصور أبلغ تصوير محاجة ابراهيم لقومه فى عبادة الأصنام ، وكيف انتصر عليهم أروع انتصار ٠ وفى سورة الأنعام ابتداء من الآية ٧٥ الى الآية ٨٣ ثمانى آيات تصور أبلغ تصوير محاجته اياهم فى عبادة الكواكب وكيف آتاه الله الحجة عليهم فلم يحيروا معه جوابا ٠

وفى سورة البقرة من الآية ٢٥٨ محاجة ابراهيم لهذا الذى ادعى الألوهية تجبرا وعتوا وكيف ألزمه الحجة « **فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين** » ٠

وفى الآيات ٤١ ـــ ٥٠ من سورة مريم تصوير بديع لمحاورة ابراهيم لأبيه ودعوته اياه ، ولما كان يتحلى به عليه السلام من قوة فى الحجة ٠ ووداعة فى الخلق ٠ ولطف فى الأسلوب ، وصلابة فى الحق ٠ ولقـــد ذهب بعض المفسرين الى أن (آزر) الذى جاء ذكره فى سورة الأنعام ليس اسما لأبى ابراهيم ولكنه اسم لصنم عظيم من أصنامهم التى كانوا يعبـــدونها ، وأن ابراهيم أراد نهى أبيـــه عن ذلك بقـــوله : « **آزر اتتخذ اصـــناما آلهة انى اراك وقومك فى ضـــلال مبين** » ٠ سورة الأنعام الآية ٧٤ ، أى اتترك آزر ودع عبادته ، وذهب بعضهم الى أن المخاطب ليس والد ابراهيم ، ولكنه عمه أو قريب هو منه بمنزلة الوالد ، وليس فى هذين القولين ما يباعد بينهما وبين الصحة ، بل لعل هنـــاك ما يرجح ذلك ان شاء الله والله أعلم بالحق فى ذلك ٠ والذى يتصل بما نحن فيه ، أن ابراهيم كان دائب المحاربة للأوثان وللأصنام باللين تارة وبالشدة أخرى ، لا يدع ذلك ولا يتسامح فيه حتى مع أقرب الناس اليه « **قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله**

وحده الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء • ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير » سورة الممتحنة الآية ٤ • « وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم » • سورة التوبة الآية ١١٤ • « وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين » سورة العنكبوت الآية ٢٥ ، ومن هنا وصفت ملة ابراهيم بأنها الحنيفية السمحة البريئة من الشرك ووصف ابراهيم بما جاء فى سورة النحل « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم » الآيتان ١٢١ ، ١٢٢ ، ومن هنا صار أبا للمسلمين أى للذين أسلموا وجوههم لله خالصة وبرئوا من ألوان الشرك وضروبه ولوثاته « ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » سورة الحج الآية ٧٨ •

وكأنما أراد الحق تبارك وتعالى أن ينصرف الناس بدعوة ابراهيم وعمله عن الرمزية الوثنية الخاطئة الى الرمزية البشرية الصحيحة فعهد الى ابراهيم عليه السلام أن يبنى الكعبة قياما للناس ويرفع قواعد البيت ليكون رمزا لمشاعر البشر الفردية والاجتماعية ومثابة لوحدتهم وأمنا لخوفهم وقلقهم لا رمزا لصفات الاله جل وعلا وخصائصه وأفعاله فصدع ابراهيم بأمر ربه وكان شعاره هو وابنه اسماعيل وهما يرفعان قواعد البيت هذا الدعاء الكريم الذى مثل التوحيد الخالص « ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا

انك أنت التواب الرحيم • ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم • ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين » سورة البقرة الآيات ١٢٨ — ١٣١ •

ولقد حرص ابراهيم على أن يجعل الاسلام نبراسا لذريته وبقية فى عقبه « **وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون** » سورة الزخرف الآية ٢٨ • « **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام** » سورة ابراهيم الآية ٣٥ •

قوم موسى :

واستعرض القرآن بعد ذلك رسالة موسى عليه السلام للاسرائيليين والمصريين معا • وكانت مصر حينذاك تمثل جوانب الرقى الانسانى وأرقى ما فى الحضارة البشرية من علم ومعرفة وهداية ونور • ولم تكن الوثنية ديانة المصريين الأصلية ، ولكن أصل ديانتهم التوحيد على ما عرف من كثير من كتاباتهم وآثارهم وتجدد النهضات الدينية بينهم • ولكن العوامل التى تعدو على المجتمعات والشعوب فى عقائدهم عدت عليهم أيضا • فانتقل الدين من الوحدانية الخالصة الى الوثنية بمظاهرها المختلفة • فعبدوا الأوثان من التماثيل والمنحوتات ، وعبدوا الحيوان كالعجل والجعران ، وعبدوا الكواكب كالشمس وعبدوا الملوك والفراعنة واعتبروهم آلهة أو أشباه آلهة • وسرت منهم العدوى الى بنى اسرائيل وتمكنت من أنفسهم تمكنا ذريعا حتى أنهم بعد أن رأوا من آيات الله ما رأوا على يد موسى عليه السلام ، اقترحوا عليه على أثر خروجهم من مصر ونجاتهم من الغرق الذى أهلك الله به فرعون

وجنوده أن يجعل لهم آلهة لمجرد رؤيتهم بعض الوثنيين يعكفون على أصنام لهم ولما تجف أرجلهم من بلل الماء « **وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون** » سورة الأعراف الآيتان ١٣٨ ، ١٣٩ .

وقد طاوعوا السامرى على عبادة العجل ، وخالفوا هارون فى نهيهم عن ذلك بمجرد أن فارقهم موسى عليه السلام بعض أيام لميقات ربه « **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين**» سورة الأعراف الآية ١٤٨ .

ولم تذكر قصة فى سور كثيرة من القرآن الكريم كما ذكرت هذه القصة ، وتكررت بأساليب مختلفة وذلك لكثرة ما فيها من عظات وعبر ولصلتها بالمصريين وهم من أعرق الشعوب فى بناء الحضارة الانسانية . وبالاسرائيليين وهم علة البشرية منذ وجدوا الى اليوم رغم ما أنعم الله عليهم به من النعم الحسية والمعنوية ولكنهم أبوا الا أن يبدلوا نعمة الله كفرا ويحلوا قومهم دار البوار ولله الأمر من قبل ومن بعد .

ذكر القرآن دعاوى فرعون الطويلة العريضة وتألهه على قومه « **ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة الأولى ، ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى** » سورة النازعات الآيات ٢٢ — ٢٦ .

وذكر محاجة موسى لفرعون فى كثير من السور ومن أروعها وأجمعها فى ايجاز ما جاء فى سورة الشعراء من الآية ٢٣ الى الآية ٥١ ، ولقد كانت لموسى مع هذه المهمة الدينية البحتة — مهمة محاربة الوثنية —

مهمة أخرى سياسية هى تحرير بنى اسرائيل • وقــد كان نجاحه فى الثانية أعظم بكثير من نجاحه فى الأولى ، وان كان الله قد انتقم من الذين لم يؤمنوا به من فرعون وجنوده أفظع انتقام « **ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** » •

قــوم الياس :

ومما يتصل بقصص بنى اسرائيل فى القرآن قصــة الياس عليه السلام مع قومه ، وقد كانوا يعبدون بعلا من دون الله ، وكانت مواطنهم حول مدينة بعلبــك ، والى هذا الصنم نسبت و « بك » معناها البيت فهى بيت بعل ، واختلفوا فى بعل هذا فقالوا هو صنم وقالوا هو امرأة وقالوا غير ذلك ، وعلى كل فقد كانت أول مهمات الياس عليه السلام أن يدعوهم الى الله وينكر عليهم دعوة بعل هذا « **وان الياس لمن المرسلين ، اذ قال لقومه الا تتقون ، أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين ، فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين** » سورة الصــافات الآيات ١٢٣ ـــ ١٢٨ ، وانما يتصــل ذلك بقصص بنى اسرائيل لأن قوم الياس بطن منهم وهو رسول من رسلهم بعد موسى عليه السلام •

الوثنية فى بلاد العرب :

وكانت الديانة الغالبة فى جزيرة العرب وبخاصة فى مكة وما جاورها ملة ابراهيم الحنيفية السمحة منذ بنى الكعبة ودعاهم الى الله واستوطن اسماعيل هذه الديار وأصبح أبا العرب المستعربة ، ولكنهم بعد ذلك أصابهم ما أصاب غيرهم من عدوى الوثنية •

قال الكلبى فى كتابه الأصنام «وكان الذى سلخ بهم الى عبادة الأوثان

والحجارة،أنه كان لايظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم وصبابة بالحرم وحبا له ، وهم بعد ذلك يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ثم سلخ بهم الى أن عبدوا مااستحبوا ونسوا ماكانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان وصاروا الى ما كانت عليه الأمم من قبلهم وانتجثوا (أى استخرجوا) ما كان يعبد قوم نوح عليه السلام منها على ارث ما بقى فيهم من ذكرها وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به .. فكان أول من غير دين اسماعيل عليه السلام عمرو بن ربيعة بن لحى أبو خزاعة ، مرض مرضا شديدا فقيل له ان بالبلقاء حمة ان أتيتها برئت فأتاها فاستحم بها فبرىء ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال ما هذه فقالوا نستقى بهـــا المطر ونستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة » اهـ .

ولقـــد تعددت الأوثان والأصنام ببلاد العرب وقبائلهم حتى كان لكل واحد منهم اله فى منزله فى بعض الأحيان وكان بعضها من الحجر وبعضها من الخشب وبعضها من الشجر وبعضها من البلح ، وربما كان للقبيلة الواحدة اله أو آلهة متعددة ، ولم يمنع ذلك من أن يكون هناك أصنام رئيسية تتمتع بالتقديس والتعظيم من كل القبائل أو معظمها ومن هذه الأوثان :

١ ـــ مناة : وهو من أقدم أوثان العرب وقد يسمون بعبوديته فيقولون (عبد مناة) أو (زيد مناة) وكان منصوبا على ساحل البحر

الأحمر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة ، وكانت العرب جميعا تعظمه وتذبح حوله ويهدون له ، ولم يكن أحدا أشـــد اعظاما له من الأوس والخزرج ، حتى كانوا لا يحلقون رؤوسهم بعد الحج ولا يحلون من احرامهم الا عنده ويرون ذلك من تمام الحج قـــال شاعرهم :

انى حلفت يمين صدق برة ‏ ‏ ‏ بمناة عند محل آل الخزرج

والعرب تسمي الأوس والخزرج جميعا الخزرج •

٢ ــ اللات : وكانت بالطائف وهى أحدث من مناة وكانت صخرة مربعة وكان يهودى يلت عندها السويق فسميت اللات ، وكان سدنتها من ثقيف بنو عتاب بن مالك وقد بنوا عليها بناء وكانت قريش والعرب جميعا تعظمها وتسمى بهـــا فيقولون (زيد اللات وعبد اللات) وهى المذكورة فى قول عمرو بن الجعيد •

فانى وتركى وصـــل كأس لكالذى

تـــبرأ من لات وكان يدينهـــــا

وقـــد بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة بعد فتح مكة واسلام ثقيف فهدمها وعفى على آثارها •

٣ ــ العزى : وهى أحدث من اللات ومناة ، وكان الذى اتخذها ظالم بن أسعد وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له حراض بازاء الغمر عن يمين المصعد الى العراق من مكة وذلك فوق ذات عرق ، وكانت أعظم الأصنام عند قريش ، يزورونها ويهدون اليها ويتقربون عندها بالذبح ويسمون بها ، واليها نسب عبد العزى بن عبد المطلب

وهو أبو لهب ، وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول « واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فانهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ، وكان لهـا منحر ينحرون فيه هداياهم يقال له الغبغب وفيه يقـول الهذلى :

رأى فزعا فى عينهـا اذ يسـوقها
الى غبغب العزى فوضع فى القسم

وكان سدنتها بنو شيبان بن جابر بن مرة من بنى سليم ــ واختلفوا فى ماهيتها فقيل صخرة ــ وقيل بيت ــ وقيل ثلاث سمرات (شجرات) متشابكة ولا مانع من أن تكون صخرة فوق هذه السمرات فى هذا البيت

وقـد بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه بعد الفتح أيضا فأزالها وهو يرتجز :

يا عز كفرانك لا سـبحانك   انى رأيت الله قد أهانك

كانوا يقولون عن هذه الثلاثة انهن بنات الله فرد القرآن عليهم هذه الدعوى الكاذبة فى سورة النجم « **افرايتم اللات والعزى ومنا الثالثة الأخرى الكم الذكر وله الأنثى تلك اذن قسمة ضيزى ان هو الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقـد جاءهم من ربهم الهدى** » الآيات ١٩ ــ ٢٣ النجم .

وكان لهم على هذا النحو أصنام كثيرة منها « هبل » و « اساف » و « نائلة » و « سـعد » و « ذو الشـرى » و « الأقيصـر » و « ذو الخلصة » . ومن طرائفهم أن أعرابيا أتى يستشير ذا الخلصة هذا ، وهو مروة بيضاء بتبالة بين مكة واليمن . فى الأخذ بثأر أبيه

وضرب الا زلام ، فخرج له القدح الناهي فغضب وضرب وجه الصنم بالقداح جميعا وهو يخاطبه بقـــوله :

لـــو كنت يا ذا الخـــلص الموتورا
مثـــلي وكان شـــيخك المقبـــورا
لم تنه عن قتـــل العـــداة زورا

وبعض المؤرخين ينسب هذه القصة الطريفة لامرىء القيس حين خرج يطلب بثأر أبيه حجر ، ويقول ان امرأ القيس خاطب الصنم حينذاك بقوله : « قبحك الله والله لو كان أباك ما قعدت من ثأره » .

ومن تقرير الحقيقة أن نقول أن العرب لم يكونوا يؤمنون بالأوثان ايمانا واضحا ولا عميقا ، فهم تارة يعتبرونها آلهة ، وأخرى يعتبرونها بنات الله كما رأيت ، وثالثة يقولون انها وسطاء وشفعاء « **ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى**(*) » أو شركاء في الألوهية مع استعلاء الله عليها بالملكية كما يقولون في تلبيتهم : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك » . واحيانا يكفرون بهـــا ويحقرون من شـــأنها كما رأيت في قصـــة ذي الخلصة ، فلم يكن لهم فيها رأي ثابت واضـــح .

وهذا ما دعا كثيرا من عقلائهم الى التنزه عن عبادتها كزيد بن نفيل ، وأمية بن أبي الصلت ، وقس بن ساعدة ، وغيرهم من الحنفاء الذين أنفوا من الوثنية وتلمسوا طرق الهداية في غيرها من المعتقدات . ومما ينسبون من الشعر لزيد بن نفيل :

---

* سورة الزمر الآية ٣

عـــزلت اللات والعـــزى جميعـــا
كذلك يفعـــل الرجـــل الصـــــبور
فـــلا العـــزى آدين ولا ابنتيهـــا
ولا صـــــــنمى بنى عمـــــرو آزور
ولـــكن آعبـــــد الرحمـــن ربى
ليغفـــر ذنبى الـــرب الغفـــــور

ومن هؤلاء من أدرك الاسلام ولم يسلم كأمية بن أبى الصلت ، ومنهم من أثنى عايه الرسول صلى الله عليه وسلم وبشر بنجاته وفوزه ، كورقة بن نوفل وقس بن ساعدة .

* * *

إلى الشباب

وإلى الطلبة خاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه •

« قل انما أعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شيء شهيد • قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب ، قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد ، قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى انه سميع قريب » •

أيها الشباب :

أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو وأصلى وأسلم على سيدنا محمد امام المصلحين وسيد المجاهدين وعلى آله وصحبه والتابعين •

أيها الشباب :

انما تنجح الفكرة اذا قوى الايمان بها ، وتوفر الاخلاص فى سبيلها ، وازدادت الحماسة لها ، ووجد الاستعداد الذى يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها ، وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة : من الايمان ، والاخلاص ، والحماسة ، والعمل من خصائص الشباب ،

لأن أســـاس الايمـــان القلب الذكى ، وأســـاس الاخلاص الفؤاد النقى ، وأساس الحماسة الشعور القوى ، وأســـاس العمل العزم الفتى ، وهذه كلها لا تكون الا للشباب ، ومن هنـــا كان الشـــباب قديما وحديثا فى كل أمة ـــ عماد نهضتها ، وفى كل نهضـــة ـــ سر قوتها ، وفى كل فكرة ـــ حامل رايتها « **انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هـــدى** » .

ومن هنـــا كثرت واجباتكم ، ومن هنـــا عظمت تبعاتكم ، ومن هنا تضاعفت حقوق أمتكم عليكم ، ومن هنـــا ثقلت الأمانة فى أعناقكم ، ومن هنا وجب عليكم أن تفكروا طويلا ، وأن تعملوا كثيرا ، وأن تحددوا موقفكم وأن تتقدموا للانقاذ ، وأن تعطوا الأمة حقها كاملا من هـــذا الشباب .

قـــد ينشأ الشباب فى أمة وادعة هادئة ، قوى سلطانها ، واستبحر عمرانها ، فينصرف الى نفســـه أكثر مما ينصرف الى أمته ، ويلهو ويعبث وهو هادىء النفس مرتاح الضمير ، وقد ينشأ فى أمة جاهدة عاملة قـــد استولى عليها غيرها ، واستبد بشؤونها خصمها ، فهى تجاهد ما استطاعت فى سبيل استرداد الحق المسلوب ، والتراث المغصوب ، والحرية الضائعة ، والأمجاد الرفيعة ، والمثل العالية ، وحينئذ يكون من أوجب الواجبات على هذا الشباب أن ينصرف الى أمته أكثر مما ينصرف الى نفسه ، وهو اذ يفعل ذلك ، يفوز بالخـــير العاجل فى ميـــدان النصر ، والخير الآجل من مثوبة الله ، ولعل من حسن حظنا أن كنا من الفريق الثانى ، فتفتحت أعيننا على أمة دائبة الجهاد ، مستمرة الكفاح فى ســـبيل الحق والحرية ، واســـتعدوا يا رجال ، فما أقرب النصر للمؤمنين وما أعظم النجاح للعاملين الدائبين .

أيهـا الشـباب :

لعل من أخطر النواحى فى حياة الأمة الناهضة ، وهى فى فجر نهضتها ، اختلاف الدعوات ، واختلاط الصيحات ، وتعدد المناهج ، وتباين الخطط والطرائق ، وكثرة المتصـدين للتزعم والقيـادة . وكل ذلك تفريق فى الجهود وتوزيع للقوى ، يتعذر معه الوصول الى الغايات ، ومن هنـا كانت دراسة هذه الدعوات والموازنة بينها أمر أساسى لابد منه لمن يريدون الاصلاح .

ومن هنـا كان من واجبى أن أشرح لكم فى وضوح موجز دعوة الاخوان المسلمين أو دعوة الاسلام فى القرن الرابع عشر الهجرى .

* * *

دعـوة الاخوان المسـلمين

أو دعوة الاسلام فى القرن الرابع عشر الهجرى

يا شـبـاب

لقد آمنا ايمانا لا جدل فيه ولا شك معه ، واعتقدنا عقيدة أثبت من الرواسى ، وأعمق من خفايا الضمائر ، بأنه ليس هنـاك الا فكرة واحدة ، هى التى تنقذ الدنيـا المعذبة ، وترشد الانسانية الحائرة ، وتهدى الناس سـواء السبيل ، وهى لذلك تستحق أن يضحى فى سبيل اعلانها ، والتبشير بها ، وحمل الناس عليها بالأرواح والأموال ، وكل رخيص وغال ، هذه الفكرة هى « **الاسلام الحنيف** » الذى لا عوج فيه ، ولا شر معه ، ولا ضلال لمن اتبعه : « **شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائمـا بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ، ان الدين عند الله الاسلام** » . « **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لـكم الاسلام دينـا** » .

ففكرتنا لهذا اسلامية بحتة ، على الاسلام ترتكز ، ومنه تستمد ، وله تجاهد ، وفى سبيل اعلاء كلمته تعمل . لا تعدل بالاسلام نظاما ، ولا ترضى سواه اماما ، ولا تطيع لغيره أحكاما : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينـا فلن يقبل منه** » .

ولقد أتى على الاسلام والمسلمين حين من الدهر ، توالت فيه الحوادث ، وتتابعت الكوارث ، وعمل خصوم الاسلام على اطفاء

روائه ، واخفاء بهائه ، وتضليل أبنائه ، وتعطيل حدوده ، واضعاف جنوده ، وتحريف تعاليمه وأحكامه ، تارة بالنقص منها ، وأخرى بالزيادة فيها ، وثالثة بتأويلها على غير وجهها ، وساعدهم على ذلك ضياع سلطة الاسلام السياسية ، وتمزيق امبراطوريته العالمية ، وتسريح جيوشه المحمدية ، ووقوع أممه فى قبضة أهل الكفر مستذلين مستعمرين •

فأول واجباتنا نحن الاخوان أن نبين للناس حدود هذا الاسلام واضحة كاملة بينة ، لا زيادة فيها ولا نقص بها ، ولا لبس معها ، وذلك هو الجزء النظرى من فكرتنا ، وأن نطالبهم بتحقيقها ، ونحملهم على انفاذها ، ونأخذهم بالعمل بها ، وذلك هو الجزء العملى فى هذه الفكرة •• وعمادنا فى ذلك كله ، كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسيرة المطهرة لسلف هذه الأمة : لا نبغى من وراء ذلك الا ارضاء الله ، وأداء الواجب ، وهداية البشر ، وارشاد الناس •

وسنجاهد فى سبيل تحقيق فكرتنا ، وسنكافح لها ما حيينا . وسندعو الناس جميعا اليها ، وسنبذل كل شىء فى سبيلها ، فنحيا بها كراما ، أو نموت كراما ، وسيكون شعارنا الدائم : الله غايتنا ، والرسول زعيمنا ، والقرآن دستورنا ، والجهاد سبيلنا ، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا •

أيها الشباب

ان الله أعزكم بالنسبة اليه ، والايمان به ، والتنشئة على دينه ، وكتب لكم بذلك مرتبة الصدارة من الدنيا ، ومنزلة الزعامة من

العاملين ، وكرامة الأستاذ بين تلامذته : **« كنتم خير أمة أخرجت للنـــاس تأمرون بالمعـــروف وتنهون عن المنكر وتؤمنـــون بالله »** • **« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس »** •

فأول ما ندعوكم اليه أن تؤمنوا بأنفسكم ، وأن تعلموا منزلتكم ، وأن تعتقدوا أنكم سادة الدنيـــا ، وان أراد لكم خصومكم الذلة ، وأساتذة العالمين ، وان ظهر عليكم غيركم بظاهر من الحياة الدنيا ـــ والعاقبة للمتقين •

فجددوا أيها الشباب ايمانكم ، وحددوا غاياتكم وأهدافكم ، وأول القوة الايمان ، ونتيجة هـــذا الايمان الوحدة ، وعاقبة الوحـــدة النصر المؤزر المبين فآمنوا وتآخوا واعملوا وترقبوا بعد ذلك النصر ، وبشر المؤمنين •

ان العالم كله حائر يضطرب ، وكل ما فيه من النظم قد عجز عن علاجه ، ولا دواء له الا الاسلام ، فتقدموا باسم الله لانقاذه ، فالجميع فى انتظار المنقذ ، ولن يكون المنقذ الا رسالة الاسلام التى تحملون مشعلها ، وتبشرون بهـــا •

أيهـــا الشـــباب :

ان منهاج الاخوان المسلمين محدود المراحل ، واضح الخطوات ، فنحن نعلم تماما ماذا نريد ، ونعرف الوسيلة الى تحقيق هذه الارادة •

نريد أولا الرجل فى تفكيره وعقيدته ، وفى خلقه وعاطفته ، وفى عمله وتصرفه ، فهذا هو تكويننا الفردى •

ونريد بعد ذلك البيت المسلم فى ذلك كله ، ونحن لهذا نعنى بالمرأة

عنايتنا بالرجل ، ونعنى بالطفولة عنايتنا بالشباب ، وهذا هو تكويننا الأسرى .

ونريد بعد ذلك الشعب المسلم فى ذلك كله أيضا ، ونحن لهذا نعمل على أن تصل دعوتنا الى كل بيت ، وأن يسمع صوتنا فى كل مكان ، وأن تتيسر فكرتنا وتتغلغل فى القرى والنجوع والمدن والمراكز والحواضر والأمصار ، لا نألوا فى ذلك جهدا ، ولا نترك وسيلة .

ونريد بعد ذلك « الحكومة المسلمة » التى تقود هذا الشعب الى المسجد ، وتحمل به الناس على هدى الاسلام من بعد كما حملتهم على ذلك بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى بكر وعمر من قبل ، ونحن لهذا لا نعترف بأى نظام حكومى لا يرتكز على أساس الاسلام ولا يستمد منه ، ولا نعترف بهذه الأحزاب السياسية ، ولا بهذه الأشكال التقليدية التى أرغمنا أهل الكفر وأعداء الاسلام على الحكم بها والعمل عليها ، وسنعمل على احياء نظام الحكم الاسلامى بكل مظاهره ، وتكوين الحكومة الاسلامية على أساس هذا النظام .

ونريد بعد ذلك أن نضم الينا كل جزء من وطننا الاسلامى الذى فرقته السياسة الغربية ، وأضاعت وحدته المطامع الأوربية ، ونحن لهذا لا نعترف بهذه التقسيمات السياسية ، ولا نسلم بهذه الاتفاقات الدولية التى تجعل من الوطن الاسلامى دويلات ضعيفة ممزقة يسهل ابتلاعها على الغاصبين ، ولا نسكت على هضم حرية هذه الشعوب واستبداد غيرها بها ، فمصر وسورية والعراق والحجاز واليمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وكل شبر أرض فيه

مسلم يقول : لا اله الا الله ـــ كل ذلك وطننا الكبير الذى نسعى لتحريره وانقاذه وخلاصه وضم أجزائه بعضها الى بعض •

ولئن كان الرايخ الألمانى يفرض نفسه حاميا لكل من يجرى فى عروقه دم الألمــان ، فان العقيدة الاسلامية توجب على كل مسلم قوى أن يعتبر نفسه حاميا لكل مسلم تشربت نفسه تعاليم (القرآن) ، فلا يجوز فى عرف الاســلام أن يكون العــامل العنصرى أقوى فى الرابطة من العامل الايمانى ، والعقيدة هى كل شىء فى الاســلام ، وهل الايمان الا الحب والبغض ؟ •

ونريد بعد ذلك أن تعود راية الله خافقة عالية على تلك البقــاع التى سعدت بالاسلام حينا من الدهر ، ودوى فيها صوت المؤذن بالتكبير والتهليل ، ثم أراد لهــا نكد الطالع أن ينحسر عنها ضياؤه فتعود الى الكفر بعد الاسلام ، فالأندلس وصقلية والبلقان وجنوب ايطاليا ، وجزائر بحر الروم ـــ كلهــا مستعمرات اسلامية يجب أن تعود الى أحضان الاســلام ، ويجب أن يعود البحر الأبيض والبحر الأحمر بحيرتين اسلاميتين ، كما كانتا من قبل ، ولئن كان السنيور موسولينى يرى من حقه أن يعيد الأمبراطورية الرومانية ، وما تكونت هذه الامبراطورية المزعومة قديما الا على أساس المطامع والأهواء ، فان من حقنا أن نعيد مجد الامبراطورية الاسلامية التى قامت على العدالة والانصاف ونشر النور والهداية بين الناس •

نريد بعد ذلك أن نعلن دعوتنا على العــالم وأن نبلغها الناس جميعا وأن نعم بهــا آفاق الأرض وأن نخضع لهــا كل جبار ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم •

ولكل مرحلة من هذه المراحل خطواتها وفروعها ووسائلها — وانما نجمل هنا القول فى غير اطالة ولا تفصيل ، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل •

ليقل القاصرون الجبناء أن هذا خيال عريق ووهم استولى على نفوس هؤلاء الناس ، وذلك هو الضعف الذى لا نعرفه ولا يعرفه الاسلام ، ذلك هو الوهن الذى قذف فى قلوب هذه الأمة ، فمكن لأعدائها فيها ، وذلك هو خراب القلب من الايمان ، وهو علة سقوط المسلمين ، وانما نعلن فى وضوح وصراحة أن كل مسلم لا يؤمن بهذا المنهاج ، ولا يعمل لتحقيقه ، لا حظ له فى الاسلام ، فليبحث له عن فكرة أخرى يدين بها ويعمل لهـــا •

ايها الشـــباب :

لستم أضعف ممن قبلكم ممن حقق الله على أيديهم هذا المنهاج ، فلا تهنوا ولا تضعفوا ، وضعوا نصب أعينكم قوله تعالى : « **الذين قال لهم الناس : ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** » •

سنربى أنفسنا ليكون منا الرجل المسلم ، وسنربى بيوتنا ليكون منها البيت المسلم ، وسنربى شعبنا ليكون فى مصر الشعب المسلم ، وسنكون من بين هذا الشعب المسلم ، وسنسير بخطوات ثابتة الى تمام الشوط ، والى الهدف الذى وضعه الله لنا ، لا الذى وضعناه لأنفسنا ، وسنصل بمعونة الله ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون •

وقد أعددنا لذلك ايمانا لا يتزعزع ، وعملا لا يتوقف ، وثقة بالله لا تضعف ، وأرواحا أسعد أيامها يوم تلقى الله شهيدة فى سبيله .

فليكن ذلك من صميم السياسة الداخلية والخارجية ، فانما نستمد ذلك من الاسلام ، ونجد بأن هذا التفريق بين الدين والسياسة ليس من تعاليم الاسلام الحنيف ، ولا يعرفه المسلمون الصادقون فى دينهم الفاهمون لروحه وتعاليمه ، فليهجرنا من يريد تحويلنا عن هذا المنهاج ، فانه خصم للاسلام أو جاهل به ، وليس له سبيل الا أحد هذين الوضعين .

أيها الشباب :

يخطىء من يظن أن الاخوان المسلمين « دراويش » قد حصروا أنفسهم فى دائرة ضيقة من العبادات الاسلامية ، كل همهم صلاة وصوم ، وذكر وتسبيح ، فالاخوان المسلمون لم يعرفوا الاسلام بهذه الصورة ، ولم يؤمنوا به على هذا النحو ، ولكنهم آمنوا به عقيدة وعبادة ، ووطنا وجنسية ، وخلقا ومادة ، وثقافة وقانونا ، وسماحة وقوة ، واعتقدوه نظاما شاملا يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة ، ينظم أمر الدنيا كما ينظم الآخرة : اعتقدوه نظاما عمليا وروحيا معا ، فهو عندهم دين ودولة ، ومصحف وسيف ، وهم مع هذا لا يهملون أمر عبادتهم ، ولا يقصرون فى أداء فرائضهم لربهم ، يحاولون احسان الصلاة ، ويتلون كتاب الله ، ويذكرون الله تبارك وتعالى على النحو الذى أمر به ، وفى الحدود التى وضعها لهم ، فى غير غلو ولا سرف ، فلا تنطع ولا تعمق ، وهم أعرف بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ، ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى »** وهم مع هذا

يأخذون من دنياهم بالنصيب الذى لا يضر بآخرتهم ، ويعلمون قول الله تبارك وتعالى : « **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق** » وان الاخوان المسلمين ليعلمون أن خير وصف لخير جماعة هو وصف أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « **رهبان بالليل فرسان بالنهار** » ، وكذلك يحاولون أن يكونوا والله المستعان .

ويخطىء من يظن أن الاخوان المسلمين يتبرمون بالوطن والوطنية ، فالاخوان المسلمون أشد الناس اخلاصا لأوطانهم ، وتفانيا فى خدمة هذه الأوطان ، واحتراما لكل من يعمل لهـا مخلصا ، وها قد علمت الى أى حـد يذهبون فى وطنيتهم ، والى أى عزة يبغـون بأمتهم ، ولكن الفارق بين الاخوان وبين غيرهم من دعاة الوطنية المجردة ، أن أساس وطنية الاخوان العقيدة الاسلامية ، فهم يعملون لمصر ، ويجاهدون فى سبيل مصر ويفنون فى هذا الجهاد ، لأنها من أرض الاسلام ، وزعيمة أممه ، كما أنهم لا يقفون بهذا الشعور عنـد حدودها ، بل يشركون معهـا فيه كل أرض اسـلامية ، وكل وطن اسلامى ، على حين يقف كل وطنى مجرد عند حدود أمته ، ولا يشعر بفريضة العمل للوطن ، الا عن طريق التقليد أو الظهور أو المباهاة أو المنافع لا عن طـريق الفريضـة المنزلة من الله على عبـاده ، وحسبك من وطنية الاخوان المسلمين أنهم يعتقدون عقيدة جازمة لازمة أن التفريط فى أى شبر أرض يقطنه مسلم جريمة لا تغتفر حتى يعيدوه أو يهلكوا دون اعادته ، ولا نجاة لهم من الله الا بهذا .

ويخطىء من يظن أن الاخوان المسلمين دعاة كسل أو اهمـال ، فالاخوان يعلنون فى كل أوقاتهم أن المسلم لابد أن يكون اماما فى كل شىء ولا يرضون بغير القيادة،والعمل،والجهاد ، والسبق فى كل شىء : فى العلم وفى القوة وفى الصحة وفى المـال . والتأخر فى أية ناحية

من النواحى ضار بفكرتنا مخالف لتعاليم ديننا ، ونحن مع هذا ننكر على الناس هذه المادية الجارفة التى تجعلهم يريدون أن يعيشوا لأنفســـهم فقط وأن ينصرفوا بمواهبهم وأوقاتهم وجهـــودهم الى الأنانية الشخصية ، فلا يعمل أحدهم لغيره شيئا ، ولا يعنى من أمر أمته بشىء ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : **« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »** كما يقول : **« ان الله كتب الاحسان على كل شىء »**

ويخطىء من يظن أن الاخوان المســلمين دعاة تفريق عنصرى بين طبقـــات الأمة ، فنحن نعلم أن الاســـلام عنى أدق العناية باحترام الرابطة الانسانية العامة بين بنى الانسان فى مثل قوله تعالى : **« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »** ، كما أنه جاء لخير الناس جميعا ورحمة الله من الله للعالمين . ودين هذه مهمته أبعد الأديان عن تفريق القلوب وايغار الصـــدور ، ولهذا جاء القرآن مثبتا لهذه الوحدة ، مشيدا بها فى مثل قـــوله تعالى : **« لا نفرق بين أحد من رسله »** . وقد حرم الاسلام الاعتداء حتى فى حالات الغضب والخصومة فقال تعالى : **« ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى »** وأوصى بالبر والاحسان بين المواطنين وأن اختلفت عقائدهم وأديانهم **« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم »** وفى انصاف الذميين وحسن معاملتهم ، فلهم ما لنـــا ، وعليهم ما علينا ، نعلم كل هذا فلا ندعو الى تفرقة عنصرية ، ولا الى عصبية طائفية ، ولكن الى جانب هذا لا نشترى هذه الوحدة بايماننا ، ولانساوم فى سبيلها على عقيدتنا ، ولا نهدر من أجلها مصالح المسلمين ، دائما نشتريها بالحق والانصاف والعدالة وكفى ، فمن حاول غير ذلك أوقفناه عند حده ، وأبنا له خطأ ما ذهب اليه ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

ويخطىء من يظن أن الاخوان المسلمين يعملون لحساب هيئة من الهيئات ، أو يعتمدون على جماعة من الجماعات ، فالاخوان المسلمون يعملون لغايتهم على هدى من ربهم ، وهم للاسلام وأبنائه فى كل زمان ومكان ، وينفقون مما رزقهم الله ابتغاء مرضاته ، ويفخرون بأنهم الى الآن لم يمدوا يدهم الى أحد ولم يستعينوا بفرد ولا هيئة ولا جماعة .

أيها الشباب :

على هذه القواعد الثابتة والى هذه التعاليم السامية ندعوكم جميعا ، فان آمنتم بفكرتنا ، واتبعتم خطواتنا ، وسلكتم معنا سبيل الاسلام الحنيف ، وتجردتم من كل فكرة سوى ذلك ، ووقفتم لعقيدتكم كل جهودكم فهو الخير لكم فى الدنيا والآخرة وسيحقق الله بكم ان شاء الله ما حقق بأسلافكم فى العصر الأول ، وسيجد كل عامل صادق منكم فى ميدان الاخوان ما يرضى همته ، ويستغرق مدى نشاطه ان كان من الصادقين .

وان أبيتم الا التذبذب والاضطراب ، والتردد بين الدعوات الحائرة والمناهج الفاشلة ، فان كتيبة الله ستسير غير عابئة بقلة ولا بكثرة :

وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم .

حسن البنا

* * *

رسالة الجهاد

«وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المجاهدين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين ، وعلى آله وصحبه ومن جاهد فى سبيل شريعته الى يوم الدين .

الجهاد فريضة على كل مسلم

فرض الله الجهاد على كل مسلم فريضة لازمة حازمة لا مناص منها ولا مفر معها ، ورغب فيه أعظم الترغيب ، وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء ، فلم يلحقهم فى مثوبتهم الا من عمل بمثل عملهم ومن اقتدى بهم فى جهادهم ، ومنحهم من الامتيازات الروحية والعملية فى الدنيا والآخرة ما لم يمنحها سواهم ، وجعل دماءهم الطاهرة الزكية عربون النصر فى الدنيا وعنوان الفوز والفلاح فى العقبى ، وتوعد المخلفين القاعدين بأفظع العقوبات ورماهم بأبشع النعوت والصفات ووبخهم على الجبن والقعود ، ونعى عليهم الضعف والتخلف ، وأعد لهم فى الدنيا خزيا لا يرفع الا ان جاهدوا ، وفى الآخرة عذابا لا يفلتون منه ولو كان لهم مثل أحد ذهبا واعتبر القعود والفرار كبيرة من أعظم الكبائر واحدى السبع الموبقات المهلكات .

ولست تجد نظاما قديما أو حديثا دينيا أو مدنيا عنى بشـأن الجهاد والجندية واستنفار الأمة وحشدها كلها صفا واحدا للدفاع بكل قواها عن الحق كما تجـد ذلك فى دين الاسـلام وتعاليمه ، وآيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم فياضة بكل هذه المعانى السامية ،داعية بأفصح عبارة وأوضح أسلوب الى الجهاد والقتال والجندية وتقوية وسائل الدفاع والكفاح بكل أنواعها من برية وبحرية وغيرها على كل الأحوال والملابسات .

وسـنورد لك طرفا من ذلك على سـبيل التمثيل لا على سـبيل الاستقراء والحصر ، وسوف لا نتناول شيئا من الآيات والأحاديث بشرح أو تعليق طويل . فسترى فى جزالة ألفاظها ونصاعة بيانها ووضوح معانيها وقوة الروحانية فيها ما يغنيك عن ذلك كله .

فمن القرآن الكريم قوله تعالى :

بعض آيات الجهـاد فى كتاب الله

١ ــ « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » . سورة البقرة الآية ٢١٦ .

ومعنى كتب : فرض . كما قال تعالى : « كتب عليكم الصيام » فى نفس السورة وبنفس العبارة والتركيب .

٢ ــ « يا أيهـا الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقـالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غـزى لو كانوا عنـدنا ما

ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير ، ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ، ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون » .
آل عمران الآيات من ١٥٦ ــ ١٥٨ .

ومعنى ضربوا فى الأرض : خرجوا فيهـا مجاهـدين ، وغـزى غزاة محاربين .

وانظر الى مقارنة المغفرة والرحمة للقتل أو الموت فى سبيل الله فى الآية الأولى والى خلو الآية الثانية من ذلك لخلوها من معنى الجهاد ، وفى الآية اشارة الى أن الجبن من أخلاق الكافرين لا المؤمنين ، فانظر كيف انعكست الآية .

٣ ــ « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون »
الآيات آل عمران ١٦٩ ، ١٧٠ فارجع الى تمامها فى المصحف .

٤ ــ « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » سورة النسـاء الآيات ابتداء من ٧١ ــ ٧٨ .

فارجع اليها فى المصحف الكريم لترى كيف يحض الله المسلمين على الحذر وممارسة القتال فى جيوش أو عصابات أو فرادى كما يقتضيه الحال ، وكيف يوبخ القاعدين والجبناء والمخلفين والنفعيين وكيف يستثير الهمم لحماية الضعفاء وتخليص المظلومين وكيف يقرن القتال

بالصلاة والصوم ويبين أنه مثلهما من أركان الاسلام ، وكيف يفند شبهات المترددين ويشجع الخائفين أكبر تشجيع على خوض المعامع ومقابلة الموت بصدر رحب وجنان جرىء ، مبينا لهم أن الموت سيدركهم لا محالة وأنهم ان ماتوا مجاهدين فسيعوضون عن الحياة أعظم العوض ولا يظلمون فتيلا من نفقة أو تضحية .

٥ — سورة الأنفال كلها حث على القتال وحض على الثبات فيه وبيان لكثير من أحكامه ولهذا اتخذها المسلمون الأولون رضوان الله عليهم نشيدا حربيا يتلونه اذا اشتد الكرب وحمى الوطيس وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى[1] « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** » الى قوله تعالى : « **يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون** » .

٦ — سورة التوبة وكلها كذلك حث على القتال وبيان لأحكامه وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى فى قتال المشركين الناكثين[2] : « **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم** » .

وقوله تبارك وتعالى فى قتال أهل الكتاب :

« **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب**

---

(١) الآيات ٦٠ — ٦٥ من سورة الانفال .
(٢) الآيات ١٤ ، ١٥ من سورة التوبة .

حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » . ثم اعلان النفير العام فى آيات داوية صارخة ختامها قوله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » ثم تنديد صارخ بموقف القاعدين الجبناء الأنذال وحرمان لهم من شرف الجهاد أبد الآبدين فى قوله تعالى :

« فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ، فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين » الآيات .

ثم اشادة بموقف المجاهدين وعلى رأسهم سيدهم الكريم صلى الله عليه وسلم وبيان أن هذه هى مهمته المطهرة وسنة أصحابه الغر الميامين فى قوله تعالى : « لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون . أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم » . ثم بيعة بعد ذلك جامعة مانعة لا تدع عذرا لمعتذر فى قوله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

٧ ــ سورة القتال ــ وتصور كيف أن سورة بأكملها تسمى (سورة القتال) فى كتاب الله الحكيم ــ وأن أساس الروح العسكرية

كما يقولون أمران : الطاعة والنظام • وقد جمع الله هذا الأساس فى آيتين من كتابه ، فأما الطاعة ففى هذه السورة فى قوله تعالى :

« ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم » • وأما النظام ففى سورة الصف فى قوله تعالى : **« ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص »** •

٨ ــ سورة الفتح وهى أيضا كلها فى غزوة من غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وفى الاشادة بموقف رائع من مواقف الجهاد العزيز تحت ظل الشجرة المباركة حيث أعطيت بيعة الثبات والموت ، فأثمرت السكينة والفتح فذلك قوله تعالى **« لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما »** •

هذه يا أخى بعض المواضع التى ورد فيها ذكر الجهاد وبيان فضله وحث المؤمنين عليه وتبشير أهله بالثواب الجزيل والجزاء الجميل ، وكتاب الله مملوء بمثلها فتصفحه وتدبر ما جاء فيه من هذا الباب ترى العجب العجيب وتدهش لغفلة المسلمين عن اغتنام هذا الثواب •

واليك بعض الأحاديث النبوية الشريفة فى ذلك :

نماذج من الأحاديث النبوية فى الجهاد

١ ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « **والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب انفسهم أن يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغــزو فى سبيل الله ، والذى نفسى بيده لوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل** » رواه البخارى ومســـلم .

السرية : القطعة من الجيش لا يكون فيها القائد العام .

٢ ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال « **والذى نفسى بيده لا يكلم أحد فى سبيل الله والله أعلم من يكلم فى سبيله الا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المســك** » .

الكلم : الجرح . ويكلم : يجرح .

٣ ــ وعن أنس رضى الله عنـــه قال : « غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله : غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحــد وانكشــف المسلمين قال : اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء (يعنى أصحابه) وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء (يعنى المشركين) ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر انى أجــد ريحها من دون أحد قال سعد : فما أستطعت يا رســـول الله ما صنع . قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة

بالرمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قــد قتل وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحـــد الا أخوه ببنانه ، قال أنس كنا نرى أن نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه : « **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** » الى آخر الآية رواه البخارى •

من دون أحد : أى من جهة جبل أحـــد •

٤ ــ وعن أم حارثة بنت سراقة أنها أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : « **يا نبى الله الا تحدثنى عن حارثة ــ وكان قبل يوم بدر أصابه سهم غرب ــ فان كان فى الجنة صبرت وان كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء • قال : يا أم حارثة انها جنان فى الجنة وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى** » • أخرجه البخارى •

السهم الغرب : الذى لا يعرف راميه •

اجتهدت عليه فى البكاء : بكيت بكاء شديدا •

فانظر يا أخى كيف كانت الجنة تنسيهم الهموم والمصائب وتحملهم على الصبر عند المكاره •

٥ ــ وعن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف** » أخرجه الشيخان وأبو داود •

٦ ــ وعن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من جهز غازيا فى سبيل الله تعالى فقد غزا**

ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا » رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى •

أى : له أجره •

٧ ـــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده ، فان شبعه وريه وروثه فى ميزانه يوم القيامة** » • رواه البخارى •

ومثل الفرس كل عدة فى سبيل الله •

٨ ـــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : «**لاتستطيعونه**» فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول : «**لاتستطيعونه**» ثم قال :« **مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد**» • رواه الستة الا أبو داود •

٩ ـــ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **الا اخبركم بخير الناس وشر الناس ان من خير الناس رجلا عمل فى سبيل الله على ظهر فرسه أو ظهر بعيره أو على قدمه حتى ياتيه الموت وان من شر الناس رجلا يقرا كتاب الله تعالى لا يرعوى بشىء منه** » • رواه النسائى •

لا يرعوى : أى لا ينكف ولا يتعظ ولا ينزجر •

١٠ ـــ وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقـول : « **عينـان لا تمسهما النـار : عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله تعالى** » رواه الترمذى

١١ ــ وعن أبى عميرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لأن اقتل فى سبيل الله احب الى من أن يكون لى أهل المدر والوبر** » أخرجه النسائى •

أهل المدر والوبر : أى أهل الحواضر والبوادى •

١٢ ــ وعن راشد بن سعد رضى الله عنه عن رجل من الصحابة أن رجلا قال : يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم الا الشهيد ؟ فقال : « **كفاه ببارقة السيوف على رأسه فتنة** » أخرجه النسائى •

وهذه من امتيازات الشهيد فى الموقعة وكم له من امتيازات كهذه ستأتى بعد فاستمع •

١٣ ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ما يجد الشهيد من مس القتل الا كما يجد احدكم من مس القرصة** »رواه الترمذى، والنسائى والدرامى وقال الترمذى حسن غريب •

وهذا امتياز آخر للشهيد •

١٤ ــ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **عجب ربنـا تبارك وتعالى من رجل غزا فى سبيل الله فانهزم أصحابه فعلم ما عليه فرجع حتى أريق دمه ، فيقول الله**

للملائكة انظروا الى عبـــدى رجع رغبة فيما عندى وشفقة مما عندى حتى أريق دمه أشهدكم أنى قـــد غفرت له » •

شفقة : خوفا • وأريق دمه : سال دمه •

١٥ ـــ وعن عبد الخير بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده قال : جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لها أم خلاد وهى متنقبة تسأل عن ابن لهـــا قتل فى سبيل الله تعالى فقال لهـــا بعض أصحابه : جئت تسألين عن ابنك وأنت متنقبة • فقالت : ان أرزأ ابنى فلن أرزأ حيـــائى • فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم : **« ان ابنك له أجر شهيدين » قالت ولم ؟ قال : « لأنه قتله أهل الكتاب »** أخرجهما أبو داود •

أرزأ ابنى : أفقده وأصاب فيه •

وفى هذا الحديث اشارة الى وجوب قتال أهل الكتاب وأن الله يضاعف أجر من قاتلهم ، فليس الجهاد للمشركين فقط ولكنه لكل من لم يســـلم •

١٦ ـــ وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه »** أخرجه الخمسة الا البخارى •

١٧ ـــ وعن خريم بن فاتك قال قال رســـول الله صلى الله عليـــه وســـلم : **« من أنفق نفقة فى ســـبيل الله تعالى كتبت له بسبعمائة ضعف »** رواه الترمذى وحسنه ، والنسائى •

١٨ ـــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته فقال لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب فذكر ذلك لرســـول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « **لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ، الا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ، فاغزوا فى سبيل الله ، من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة** » • رواه الترمذى •

عيينة : عين صغيرة تفيض بالمـــاء •

١٩ ـــ وعن المقدام بن معد يكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له فى أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقربائه** » رواه الترمذى وابن ماجه •

٢٠ ـــ وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله وفيه ثلمة** » رواه الترمذى وابن ماجه •

٢١ ـــ وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم : « **من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه** » • رواه مســـلم •

٢٢ ــ وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **« من رابط ليلة فى سبيل الله سبحانه وتعالى كانت كألف ليلة صيامها وقيامها »** رواه ابن ماجه .

٢٣ ــ وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« غزوة فى البحر مثل عشر غزوات فى البر والذى يسدر فى البحر كالمتشحط فى دمه فى سبيل الله سبحانه »** رواه ابن ماجه .

يسدر : يميل ويهتز وترتج به السفينة وفيه الاشارة بغزو البحر ولفت نظر الأمة الى وجوب العناية بحفظ سواحلها وتقوية أسطولها ويقاس عليه الجو فيضاعف الله للغزاة فى الجو فى سبيله أضعافا مضاعفة .

٢٤ ــ وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه يقول : لما قتل عبد الله بن عمروبن حزام يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : : **« يا جابر الا اخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك ؟ قلت : بلى قال : ما كلم الله أحدا الا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحا فقال يا عبدى تمن على أعطك . قال يا رب تحيينى فاقتل فيك ثانية . قال : انه سبق منى انهم اليها لا يرجعون قال يا رب فابلغ من ورائى . فانزل الله عز وجل هذه الآية « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا .. الآية كلها »** . . رواه ابن ماجه .

٢٥ ــ وعن أنس عن أبيه رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **« لأن أشيع مجاهدا فى سبيل الله فاكففه على رحله غدوة او روحة أحب الى من الدنيا وما فيها »** رواه ابن ماجه .

فأكففه على رحله : فأساعده عليه • غدوة بالغدو وهو الصباح • روحة : فى الرواح وهو المســـاء •

٢٦ ــ وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم : « **وفد الله ثلاثة : الغازى والحاج والمعتمر** »• رواه مســلم •

٢٧ ــ وعن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم : « **يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته** » • رواه أبو داود •

٢٨ ــ عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اذا تبايعتم بالنسيئة واخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا الى دينكم** » رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم •

٢٩ ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « **انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين الى بدر وجاء المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا الى جنة عرضها السموات والأرض • قال عمـــرو بن الحمام : بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يحملك على قولك بخ بخ » قال : لا والله يا رسول الله الا رجاء أن أكون من أهلها قال : « فانك من أهلها » قال : فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن انا حييت حتى آكل تمراتى انها لحياة طويلة فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل** » • رواه مســلم •

٣٠ ــ عن أبى عمران قال : كنا بمدينة الروم فأخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم وأكثر وعلى أهل مصر

عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل بينهم فصاح النـاس وقالوا سبحان الله يلقى بيده الى التهلكة • فقام أبو أيوب الأنصارى فقال : أيها النـاس أنتم تتأولون هذه الآية هذا التأويل وانما نزلت فينا معشر الأنصار لما أعز الله الاسلام وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أموالنا قد ضاعت وان الله تعالى أعز الاسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا فى أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها • فأنزل الله تعـالى على نبيه ما يرد علينا ما قلناه « **ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة** » وكانت التهلكة الاقامة على الأموال واصلاحها وتركنا الغزو ، فما زال أبو أيوب شاخصا فى سبيل الله حتى دفن بأرض الروم » رواه الترمذى •

ولاحظ يا أخى أن أبا أيوب حين يقول هذا كان فى سن كبيرة قـد جاوزت الشباب والكهولة ومع هذا فقلبه وروحه وايمانه مثال للفتوة القوية بتأييد الله وعزة الاسلام •

٣١ — وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم أنه قال : « **من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق** » رواه مسلم وأبو داود ونظائره كثيرة •

والأحاديث الكريمة فى ذلك وأمثاله وفى غزو البحر وتفضيله على غـزو البر بمرات وفى غزو أهـل الكتاب كذلك وفى تفصـيل أحكام القتال ، أكثر من أن يحيط به مجلد كبير ، وندلك على كتاب « العبرة فيما ورد عن الله ورسوله فى الغزو والجهاد والهجرة » للسيد حسن صـديق خان وهو خاص بذلك البحث ، وكتاب « مشـارع الأشواق

الى مصارع العشاق ومثير الغرام الى دار السلام » وما جاء فى كتب الحديث كلها فى باب الجهاد ترى الكثير الطيب .

حـــكم الجهاد عنـــد فقهاء الأمة

مرت بك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة فى فضل الجهاد وأحب أن أنقل اليك طرفا مما قاله فقهاء المذاهب حتى المتأخرين منهم فى أحكام الجهاد ووجوب الاستعداد لتعلم الى أى حد ضيعت الأمة الاسلامية أحكام دينها فى قضية الجهاد باجماع آراء المسلمين فى كل عصر من أعصارهم فاسمع :

١ ــ قال صاحب مجمع الأنهر فى شرح ملتقى الأبحر مقررا أحكام الجهاد فى (**مذهب الأحناف**) : « الجهاد فى اللغة بذل ما فى الوسع من القول والفعل ، وفى الشريعة قتل الكفار ونحوه من ضربهم ونهب أموالهم وهدم معابدهم وكسر أصنامهم والمراد الاجتهاد فى تقوية الدين بنحو قتال الحربيين والذميين (اذا نقضوا) والمرتدين الذين هم أخبث الكفار للنقض بعد الاقرار والباغين ــ بدأ منا فرض كفاية يعنى يفرض علينا أن نبدأهم بالقتال بعد بلوغ الدعوة وان لم يقاتلونا فيجب على الامام أن يبعث سرية الى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين وعلى الرعية اعانته واذا قام به بعض سقط عن الباقين فاذا لم تقع الكفاية بذلك البعض وجب على الأقرب فالأقرب فان لم تقع الكفاية الا بجميع الناس فحينئذ صار فرض عين كالصلاة أما الفريضة فلقوله تعـــالى « **فاقتلوا المشركين** » ولقوله عليه الصلاة والسلام « **الجهاد ماض الى يوم القيامة** » وان تركه الكل أثموا .. الى أن قال : فان

غلب العدو على بلد من بلاد الاسلام أو ناحية من نواحيها ففرض عين فتخرج المرأة والعبد بلا اذن الزوج والمولى وكذا يخرج الولد من غير اذن والديه والغريم بغير اذن دائنه .

وفي كتاب البحر : « **امرأة مسلمة سبيت بالمشرق وجب على أهل المغرب تخليصها ما لم تدخل حصونهم وحرزهم** » اهـ .

٢ — وقال صاحب بلغة السالك لأقرب المسالك في « **مذهب الامام مالك** » : « الجهاد في سبيل الله لاعلاء كلمة الله تعالى كل سنة فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقي ويتعين (أي يصير فرض عين كالصلاة والصوم) بتعيين الامام وبهجوم العدو على محلة قوم فيتعين عليهم وعلى من بقربهم ان عجزوا ويتعين على المرأة والرقيق مع هذه الحالة ولو منعهم الولي والزوج والسيد ورب الدين ان كان مدينا ويتعين أيضا بالنذر ، وللوالدين المنع منه في فرض الكفاية فقط وفك الأسير من الحربيين ان لم يكن له مال يفك منه فرض كفاية وان أتى على جميع أموال المسلمين » .

٣ — وفي متن المنهاج للامام النووي — **الشافعي** — كان الجهاد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض كفاية وقيل عين وأما بعده فللكفار حالان :

أحدهما — يكونون ببلادهم ففرض كفاية اذا فعله من فيهم الكفاية من المسلمين سقط الحرج عن الباقين .

والثاني — يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن وان أمكن تأهب لقتال وجب الممكن حتى على فقير وولد ومدين وعبد بلا اذن .

٤ ـ وفى المغنى لابن قدامة **الحنبلى** قال : مسألة والجهاد فرض على الكفاية اذا قام به قوم سقط عن الباقين ويتعين فى ثلاثة مواضع :

(أ) اذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف ويتعين عليه المقـام ٠

(ب) اذا نزل الكفار ببلدة تعين على أهله قتالهم ودفعهم ٠

(جـ) اذا استنفر الامام قوما لزمهم النفير معه ٠

وأقل ما يفعل مرة كل عام ٠

قال أبو عبد الله (يعنى الامام احمد بن حنبل) لا أعلم شيئا من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد ، وغزوة البحر أفضل من غزوة البر ٠ قال أنس بن مالك رضى الله عنه : « **نام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك قالت أم حرام فقلت ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : « ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة او مثل الملوك على الأسرة »** متفق عليه ، ومن تمام الحديث أن أم حرام سألت النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله لهـا لتكون من هؤلاء فدعا لهـا فعمرت حتى ركبت البحر فى أسطول المسلمين الذى فتح جزيرة قبرص وماتت بهـا ودفنت فيها وهناك مسجد ومشهد ينسب اليها رحمها الله ورضى عنها ٠

٥ ـ وقال فى المحلى لابن حزم الظاهرى ـ مسـألة ـ والجهاد فرض على المسلمين فاذا قام به من يدفع العـدو ويغزوهم فى عقر هم ويحمى ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقين والا فلا قال تعالى : « **انفروا خفافا وثقـالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم** »

ولا يجوز الا باذن الأبوين الا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين ففرض على كل من يمكنه اعانتهم أن يقصدهم مغيثا لهم أذن الأبوان أم لم يأذنا الا أن يضيعا أو أحدهما بعده فلا يحل له ترك من يضيع منهما .

٦ ـ وقال الشوكانى فى السيل الجرار : « الأدلة الواردة فى فرضية الجهاد كتابا وسنة أكثر من أن تكتب ها هنـــا ولكن لا يجب ذلك الا على الكفاية فاذا قام به البعض سقط عن الباقين وقبل أن يقوم به البعض هو فرض عين على كل مكلف وهكذا يجب على من استنفره الامام أن ينفر ويتعين ذلك عليه » .

فها أنت ذا ترى من ذلك كله كيف أجمع أهل العلم مجتهدين ومقلدين سلفيين وخلفيين على ان الجهـــاد فرض كفاية على الأمة الاسلامية لنشر الدعوة ، وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها والمسلمون الآن كما تعلم مستذلون لغيرهم محكومون بالكفار ، قـــد ديست أرضهم وانتهكت حرماتهم ، وتحكم فى شـــئونهم خصامهم وتعطلت شـــعائر دينهم فى ديارهم ، فضلا عن عجزهم عن نشر دعوتهم ،**فوجب وجوبا عينيا لا مناص منه أن يتجهز كل مسلم وأن ينطوى على نية الجهـــاد وأعداد العدة له حتى تحين الفرصة ويقضى الله أمرا كان مفعولا .**

ولعـــل من تمام هذا البحث أن أذكر لك أن المسلمين فى أى عصر من عصورهم قبل هذا العصر المظلم الذى ماتت فيه نخوتهم لم يتركوا الجهاد ولم يفرطوا فيه حتى علماءهم والمتصوفة منهم والمحترفون وغيرهم فكانوا جميعا على أهبة الاستعداد .. كان عبد الله بن المبارك الفقيه الزاهد متطوعا فى أكثر أوقاته بالجهاد .. وكان عبدالواحد بن زيد

الصوفى الزاهد كذلك •• وكان شقيق البلخي شيخ الصوفية فى وقته يحمل نفسه وتلامذته على الجهـاد •• وكان البدر العينى شارح البخارى الفقيه المحدث يغزو سـنة ويدرس العلم سـنة ويحج سـنة •• وكان القـاضى أسد بن الفـرات المالكى أميرا للبحـر فى وقته •• وكان الامام الشافعى يرمى عشرة ولا يخطىء •

كذلك كان السلف رضوان الله عليهم ، فأين نحن من هذا التاريخ ؟

لمـاذا يقـاتل المسـلم ؟

أتى على الناس حين من الدهر وهم يغمزون الاســلام بفرضية الجهاد واباحة القتال حتى تحققت الآية الكريمة : « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسـهم حتى يتبين لهم انه الحق** » فهاهم الآن يعترفون بأن الاستعداد هو أضمن طريق للسلام • فرض الله الجهـاد على المسلمين لا أداة للعدوان ولا وسيلة للمطامع الشخصية ولكن حماية للدعوة وضمانا للسلم وأداء للرسالة الكبرى التى حمل عبئها المسلمون ، رسالة هداية الناس الى الحق والعدل ، وان الاسلام كما فرض القتال شاد بالسلام فقال تبارك وتعالى : « **وان جنحوا للسـلم فاجنح لهـا وتوكل على الله** » •

كان المسلم يخرج للقتال وفى نفسه أمر واحد أن يجاهد لتكون كلمة الله هى العليا ، وقد فرض دينه عليه أن لا يخلط بهذا المقصد غاية أخرى ، فحب الجاه عليه حرام ، وحب الظهور عليه حرام ، وحب المال عليه حرام ، والغلول من الغنيمة عليه حرام ، وقصد الغلب بغير

الحق عليه حرام ، والحلال أمر واحد أن يقدم دمه وروحه فداء لعقيدته وهداية للنـــاس •

عن الحارث بن مسلم بن الحارث عن أبيه قال : « **بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية فلما بلغنا المغار استحثثت فرسى فسبقت اصحابى فتلقانى أهل الحى بالرنين فقلت لهم قولوا لا اله الا الله تحرزوا ، فقالوها ، فلامنى أصحابى وقالوا حرمتنا الغنيمة ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبروه بالذى صنعت ، فدعانى فحسن لى ما صنعت ثم قال لى : « الا ان الله تعالى قد كتب لك بكل انسان كذا وكذا من الأجر • وقال : اما انى ساكتب لك بالوصاية بعدى ففعل وختم عليه ودفعه الى** » أخرجه أبو داود •

وعن شداد بن الهادى رضى الله عنه : أن رجلا من الاعراب جاء فآمن بالنبى صلى الله عليه وسلم ثم قال أهاجر معك فأوصى به النبى صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه فكانت غزاة غنم فيها النبى صلى الله عليه وسلم شيئا فقسم وقسم له فقال : ما هذا ؟ فقال : قسمته لك • فقال : ما على هذا اتبعتك ولكنى اتبعتك على أن أرمى الى ههنا ــ وأشار بيده الى حلقه ــ بسهم فأموت فأدخل الجنة • قال : ان تصدق الله يصدقك • فلبثوا قليلا ثم نهضوا فى قتال العدو فأتى به النبى محمولا قد أصابه سهم حيث أشـــار • فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أهو هو ؟ قالوا : نعم • قال صدق الله فصدقه • ثم كفن فى جبة النبى صلى الله عليه وسلم ثم قدمه فصلى عليه فكان مما ظهر من صلاته : « اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا فى سبيلك فقتل شـــهيدا وأنا شـــهيد على ذلك » • أخرجه النسائى •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه « **ان رجلا قال : يا رسول الله رجل يريد الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضا من الدنيا فقال : لا اجر له • فاعادها عليه ثلاثا كل ذلك يقول لا أجر له** » • أخرجه أبو داود •

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : سـئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله • قـال : « **من قاتل لتكون كلمة الله هى العليـا فهو فى سبيل الله** » • أخرجه الخمسة •

وأنت اذا قرأت وقائع الصحابة رضـوان الله عليهم ومسالكهم فى البلاد التى فتحوها رأيت مبلغ عزوفهم عن المطامع والأهواء وانصرافهم لغايتهم الأساسية الأصلية وهى ارشاد الخلق الى الحق حتى تكون كلمة الله هى العليا ، ورأيت مبلغ الخطأ فى اتهامهم رضوان الله عليهم بأنهم انما كانوا يريدون الغلب على الشعوب والاستبداد بالأمم والحصول على الأرزاق •

الرحمة فى الجهـاد الاسلامى

لمـا كانت الغاية فى الجهاد الاسلامى أنبل الغايات كانت وسيلته كذلك أفضل الوسـائل فقد حرم الله العدوان ، فقال تعـالى : « **ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين** » وأمر بالعدل حتى مع الأعداء والخصوم فقال تعـالى : « **ولايجر منكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** » وأرشد المسلمين الى منتهى الرحمة •

فهم حينما يقاتلون لا يعتدون ولا يفجرون ولا يمثلون ولا يسرقون

ولا ينتهبون الأموال ولا ينتهكون الحرمات ولا يتقدمون بالأذى فهم فى حربهم خير محاربين كما أنهم فى سلمهم أفضل مسالمين .

عن بريدة رضى الله عنه قال : « **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر الأمير على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال : اغزوا باسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا** » . رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه** » أخرجه الشيخان .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أعف الناس قتلة أهل الايمان** »أخرجه أبو داود .

وعن عبد الله بن يزيد الأنصارى رضى الله عنه قال : « **نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النهب والمثلة** » . أخرجه البخارى .

كما ورد النهى عن قتل النساء والصبيان والشيوخ والاجهاز على الجرحى واهاجة الرهبان والمنعزلين ومن لا يقاتل من الآمنين ، فأين هذه الرحمة من غارات المتمدينين الخانقة وفظائعهم الشنيعة ؟ وأين قانونهم الدولى من هذا العدل الربانى الشامل ؟

اللهم فقه المسلمين فى دينهم وأنقذ العالم من هذه الظلمات بأنوار الاسلام .

ما يلحق بالجهـاد

شاع بين كثير من المسلمين أن قتال العدو هو الجهـاد الأصغر وأن هناك جهادا أكبر هو جهـاد النفس وكثير منهم يستدل لذلك بما يروى : « **رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر ؟ قال جهاد القلب أو جهاد النفس** » •

وبعضهم يحاول بهذا أن يصرف الناس عن أهمية القتال والاستعداد له ونية الجهاد والأخذ فى سبيله فأما هذا الأثر فليس بحديث على الصحيح ، قال أمير المؤمنين فى الحديث الحافظ ابن حجر فى تسديد القوس (هو مشهور على الألسنة وهو من كلام ابراهيم بن عبلة) •

وقال العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء : رواه البيهقى بسند ضعيف عن جابر ورواه الخطيب فى تاريخه عن جابر ، على أنه لو صح فليس يعطى أبدا الانصراف عن الجهاد والاستعداد لانقاذ بلاد المسلمين ، ورد عادية أهل الكفر عنها ، وانما يكون معناه وجوب مجاهدة النفس حتى تخلص لله فى كل عملها • فليعلم •

وهناك أمور تلحق بالجهاد منها : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد جاء فى الحديث: « **ان من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر** » •

ولكن شيئا منها لا يوجب لصاحبه الشهادة الكبرى وثواب المجاهدين الا أن يقتل أو يقتل فى سبيل الله •

* * *

خاتمـــــة

أيها الاخوان : ان الأمة التي تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة ، وما الوهن الذى أذلنا الا حب الدنيا وكراهية الموت ، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم احرصوا على الموت توهب لكم الحيـــاة .

واعلموا أن الموت لابد منه وأنه لا يكون الا مرة واحدة ، فان جعلتموها في سبيل الله كان ذلك ربح الدنيـــا وثواب الآخرة ، وما يصيبكم الا ما كتب الله لكم وتدبروا جيدا قول الله تبارك وتعالى : **« ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنـــا من الأمر من شيء قل ان الأمر كله لله . يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك ، يقولون لو كان لنـــا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور » .**

فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة . رزقنا الله واياكم كرامة الاستشهاد في سبيله .

حسن البنـــا

المُناجاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمـــد امام المتقين وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه ودعا بدعوته الى يوم الدين .

« وبعد » فلما كان من أوراد الاخوان المسلمين أن يجتمعوا ليلة فى الأسبوع على تعارف واخاء وذكر ودعاء ، أحببت أن أتقدم اليهم بهذه المذكرة الموجزة فى فضل القيام والدعاء والاستغفار وما ينحو هذا المنحى وفى بعض أدعية مأثورة مختارة ، لعل فيها تذكرة بالآداب المسنونة وارشادا الى الكيفيات المطلوبة . ولم أقصد بذلك الاستيعاب والحصر ولكنى انما قصدت الى التذكير والتمثيل . وما بين العبد ومولاه أدق من أن يحصر فى كتاب والله أسأل لى ولهم كمال الاخـــلاص وحسن الهداية والتوفيق وصلى الله على سيدنا محمـــد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفقير الى الله
حســن البنـــا

فضـــل قيام الليـــل ووقت الســـحر

يا أخى : لعل أطيب أوقات المناجاة ان تخلو بربك والناس نيام والخليون هجع ، وقد سكن الكون كله وأرخى الليل سدوله وغابت نجومه فتستحضر قلبك وتتذكر ربك وتتمثل ضعفك وعظمة مولاك فتأنس بحضرته ويطمئن قلبك بذكره وتفرح بفضله ورحمته وتبكى من خشيته وتشعر بمراقبته وتلح فى الدعاء وتجتهد فى الاستغفار وتفضى بحوائجك لمن لا يعجزه شىء ولا يشغله شىء عن شىء انمـــا أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون • وتسأله لدنياك وآخرتك وجهادك ودعوتك وآمالك وأمانيك ووطنك وعشيرتك ونفسك وأخوتك وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم •

ولهذا يا أخى وردت الآيات الكثيرة والأحاديث المتواترة فى فضل هذه الساعات وتزكية تلك الأوقات وندب الصالحين من العباد الى أن يغتنموا منها ثواب الطاعات ولهذا يا أخى حرص السلف الصالحون على ألا يفوتهم هذا الفضل العظيم فهم فى هذه الأوقات تائبون عابدون حامدون ذاكرون راكعون ساجدون يبتغون فضلا من الله ورضوانا ويزدادون يقينا وايمانا ويسألون الله من فضله وهو أكرم مسئول وأفضل مأمول •

فمن الآيات القرآنية قوله تعـــالى :

« من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعـــروف وينهون عن المنكر

واولئك من الصـــالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين » آل عمران •

« للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد • الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار • الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار » آل عمران

« أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر أن قرآن الفجر كان مشهودا • ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » • الاسراء

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما • والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » الفرقان

« انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بهـــا خروا ســـجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون • تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » • السجدة •

« أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الألباب » الزمر •

« فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود » • ق

« أن المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا

قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون » • الذاريات •

« واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم » • الطور

« يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا » •المزمل

« ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن » • المزمل •

« انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا • واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا » • الدهر

ومن الاحاديث الشريفة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يقضى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له ومن يسألنى فأعطيه ومن يستغفرنى فأغفر له » • رواه البخارى ومالك ومسلم والترمذى وغيرهم وفى رواية مسلم أن الله تعالى يمهل حتى اذا ذهب الثلث الأول من الليل ينزل الى سماء الدنيا فيقول أنا الملك من الذى يدعونى •

وعن عمرو بن عيشة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول : « **اقرب ما يكون العبد من الرب فى جوف الليل فان استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن** » . رواه أبو داود والترمذى واللفظ له وقال حديث حسن صحيح والحاكم على شرط مسلم .

عن أبى امامة قال قيل يارسول الله أى الدعاء اسمع ؟ «**قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات** » . رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وعن بلال رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم . وقربة الى ربكم ومنهاة عن الاثم . وتكفير للسيئات . ومطردة للداء عن الجسد** » . اخرجه الترمذى .

وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه . فقيل له : قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال « **أفلا أكون عبدا شكورا** » **أخرجه الخمسة الا أبا داود.**

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدع قيام الليل وكان اذا مرض أو كسل صلى قاعدا** » . أخرجه أبو داود .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « ذكر رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال مازال نائما حتى أصبح ما قام الى الصلاة . فقال صلى الله عليه وسلم :« **ذلك رجل بال الشيطان فى أذنه** » . أخرجه الشيخان والنسائى .

وفى حديث ابن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال فيه (**نعم الرجل هو لو كان يصلىَ بالليل**) فكان يداوم بعد ذلك على قيام الليل قال نافع مولاه : كان يصلى بالليل ثم يقول يا نافع اسحرنا ؟ فأقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع اسحرنا ؟ فأقول نعم فيقعد ويستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر — (اسحرنا اى دخلنا فى وقت السحر والظاهر ان ذلك بعد ان كبر رضى الله عنه وكف بصره) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : « **افضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليـــل** » • رواه مسلم •

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« **من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بالف آية كتب من المقنطرين** » رواه أبوداود وله فىرواية أخرىعن عبدالله بن حبيش قال سئلرسولالله صلى الله عليه وسلم :« **اى الأعمال افضل ؟ قال طول القيـــام** » •

وعن عائشة رضى الله عنها • كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل ، عشر ركعاتويوتر بسجدة ويركع ركعتى الفجر فتلك ثلاث عشرة ركعة • أخرجه الستة وهذا لفظ مسلم •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **اذا قام احدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين** » أخرجه مسلم وأبو داود وزاد أبو داود ثم ليطول بعد ذلك ما شاء •

* * *

ومن المأثور عن السلف رضوان الله عليهم فى ذلك :

ما ورد عن ضرار الصدائى فى وصف على كرم الله وجهه اذ يقول **« يستوحش من الدنيا وزخرفها ، ويانس بالليل ووحشته ، وأشهد قد رأيته فى بعض مواقفه — وقد أرخى الليل سدوله وغابت نجومه — واقفا فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول يا دنيـــا غرى غيرى ، الى تعرضت ، أم الى تشوقت هيهات هيهات ، قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير ، وحسابك عسير وخطرك حقير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق »** •

وما روى أن عمر رضى الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيتأثر بهـــا ، ويحسب فى المرضى •

وان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه اذا هدأت العيون قام فيسمع له بالقرآن دوى كدوى النحل وكان ذلك دأب الصحابة جميعا رضوان الله عليهم • وسئل الحسن : ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها قال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره • وقال الربيع بت فى منزل الشافعى رضى الله عنه ليالى كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيرا ، وكان ذلك دأب الأئمة رضوان الله عليهم كذلك وتلا مالك ابن دينار فى ورده قول الله تعالى: **« ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم وممـــاتهم ساء ما يحكمون »** ، فأخذ يرددها حتى أصبح • وقال المغيرة بن حبيب رافقت مالك بن دينار ليلة فقام الى الصلاة فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول : اللهم حـــرم شيبة مالك على النار للهى قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأى الرجلين مالك واى الدارين دار مالك ؟ فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر •

ورؤى الجنيد بعد موته فقيل له ما فعل الله بك يا ابا القاسم ؟ فقال بليت الرسوم ، وغابت العلوم ، وانمحت العبارات ، وطاحت الاشارات وما نفعنا الا ركيعات ، كنا نركعها فى جوف الليل . ومن وصايا لقمان لابنه يا بنى لا يكونن الديك أكيس منك ، ينادى بالأسحار وأنت نائم .

ولقد كانوا رضوان الله عليهم يجدون فى كثرة القيام وحلاوة المناجاة أنسا وراحة ، تنسيهم عناء الأجسام ، وتعب الأقدام ، قال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه **« أهل الليل فى ليلهم أروح من أهل اللهو فى لهوهم ولولا قيام الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا ، ولو عوض الله اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدون من اللذة لكان ذلك اكثر من هذه الأعمال »** .

وقال بعضهم ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم الآخرة الا ما يجده أهل القيام فى قلوبهم من حلاوة المناجاة وقال محمد بن المنكدر رضى الله عنه ما بقى من لذات الدنيا الا ثلاث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلاة فى الجماعة وقال بعض الصالحين منذ أربعين سنة ما احزننى شىء الا طلوع الفجر .

وقال بعضهم : **« ان الله تعالى ينظر بالأسحار الى قلوب المتيقظين فيملؤها نورا فترد الفوائد على قلوبهم ثم تنتشر منها الى قلوب الغافلين »** .

ومن وصف على كرم الله وجهه للمتقين . **« اما الليل فصافون اقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا ، يحزنون به أنفسهم ويستشيرون دواء دائهم اذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعا وتطلعت نفوسهم اليها شوقا وظنوا انها نصب اعينهم واذا مروا بآية**

فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها فى اصـــول آذانهم فهم حانون على أوســـاطهم مفترشون لجباههم واكفهم واطراف اقدامهم لا يرضون من اعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون » .

قال ابن الحاج فى المدخل : « وفى قيام الليل من الفوائد جملة فمنها أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة ، ومنها أنه ينور القلب ، ومنها أنه يحسن الوجه ، ومنها أنه يذهب الكسل وينشط البدن،ومنها أن موضعه تراه الملائكة من السماء ، يتراءى مثل الكوكب الدرى لأهل الأرض ونفحة من نفحات القيام من الليل تعود على صـــاحبها بالبركات والأنوار والتحف التى يعجـــز عنها الوصف قال عليه الصلاة والسلام **« ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله »**

كذلك كانوا ايها الأخ فاسلك سبيلهم وانهج نهجهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتـــده ، ولا تجعل قيامك قاصرا على ليلة الاجتماع باخوانك بل عممه فى جميع لياليك ما استطعت فان أحب الأعمال الى الله أدومها وان قـــل .

واعلم أنه مما يعينك على قيام الليل ، اخلاص النية واستحضار العزيمة وتجديد التوبة والبعـــد بالنهار عن المعصـــية والتبكير بالنوم والقيلولة ان استطعت واستعن الله يعنك وتقرب اليه يقربك واساله من فضـــله يعطك .

فضل الدعاء والاستغفار وآدابهمـــا

وقد وردت **الآيات والأحاديث** بفضل الاستغفار والدعاء وآدابهما ونحن نذكرك بطرف من ذلك .

فاما الآيات الكريمة فمنها قول الله تعالى :

« واذا سالك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » • البقرة

« والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين » • آل عمران •

« واسالوا الله من فضله ان الله كان بكل شىء عليما » • النســـاء

« ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما » • النســـاء

« ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الأرض بعــد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين » • الاعراف

« وما كان الله ليعــذبهم وأنت فيهم وما كان الله معــذبهم وهم يستغفرون » • الأنفال

« ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين » • هــود

« فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون • رفيع الدرجات ذو العرش » • المؤمن

« وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » •

« فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم » القتـــال •

« فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل الســماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا » نـــوح •

« فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » • النصر

* * *

ومن الأحاديث الشريفة فى فضل الدعاء والاستغفار :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم « من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما ســـئل الله تعالى شيئا احب اليه من ان يسال العافية ، وان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ولا يرد القضاء الا الدعاء فعليكم بالدعاء » • رواه الترمذى •

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة الا اتاه الله اياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » رواه الترمذى •

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدعاء هو العبـــادة » ثم قرأ : « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ••• الآية » • أخرجه أبو داود •

وعن أنس رضى الله عنـــه قال : قال رســـول الله صلى الله عليه

وسلم «**ليسال أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسال شسع نعله اذا انقطع**» اخرجه الترمذى وفى رواية عن ثابت البنانى مرسلا حتى يسأله الملح وحتى يسأله شسع نعله اذا انقطع •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من لم يسأل الله يغضب عليه** » • الترمذى •

وعن ابن مسعود رضى الله عنهما قال : « **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا الله تعالى من فضله فان الله يحب ان يسال وافضل العبادة انتظار الفرج** » • الترمذى

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : « **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد مسلم يدعو لاخيه بظهر الغيب الا قال الملك ولك بمثل** » • اخرجه مسلم وابو داود وزاد الا قالت الملائكة آمين ولك بمثل •

عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه قال : « **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة** » • اخرجه ابو داود والترمذى

وعن الأغر المزنى رضى الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **انه ليغان على قلبى حتى استغفر الله فى اليوم مائة مرة** » • اخرجه مسلم وابو داود •

وفى رواية لمسلم : «**توبوا الى ربكم فوالله انى لأتوب الى ربى تبارك وتعالى فى اليوم مائة مرة**» وللبخارى والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **والله انى لأستغفر الله واتوب اليه فى اليوم سبعين مرة** » •

وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ان العبد اذا اخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة فان هو جزع واستغفر صقلت فان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فذلك الران الذى ذكر الله تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون »** . اخرجه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وغيرهما .

* * *

آداب الدعاء :

ومن آداب الدعاء ماجاءت به الآيات الكريمة من التضرع والخشية والسكون وحسن الادب مع الحق تبارك وتعالى ، وقد اشارت الى ذلك الاحاديث الصحيحة فمن هذه الآداب .

رفع بطن اليدين حين الدعاء فعن ابن عباس رضى الله عنه قال « **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستروا الجدر ومن نظر فى كتاب اخيه بغير اذنه فانما ينظر فى النار سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسالوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم** » . اخرجه ابو داود

وحضور القلب وتيقن الاجابة ـــ فعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه** » الترمذى .

واستفتاح الدعاء بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله وان تتخلله الصلاة والسلام على رسول الله ويختم بها كذلك

فعن فضالة بن ابى عبيد رضى الله عنه قال • سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته ولم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : عجل هذا ثم دعاه فقــال : **« اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شــاء »** • اخرجه اصحاب السنن

وعن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد حتى يصلى على فلا تجعلونى كقدح الراكب صلوا على أول الدعاء ووسطه وآخره »** • اخرجه الترمذى موقوفا على عمر ورفعه رزين •

ومنها انه يختم دعائه بآمين فعن ابى مصبح القرائى عن ابى زهيرة النميرى رضى الله عنه قال خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأتينا على رجل قد الح فى المسألة فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه فقال **« أوجب ان ختم »** فقيل بأى شىء يختم يا رسول الله • **« قال بآمين »** وانصرف فقيــل للرجل يا فلان • قل آمين ، **وابشر »** • ابو داود

ومنها الهدوء وعدم رفع الصوت بالدعاء ، فعن ابى موسى رضى الله عنه قال كنا فى سفر فجعل الناس يجأرون بالتكبير فقــال النبى صلى الله عليه وسلم • **« ايها الناس ارفقوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصما ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم ، والذى تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته »** • الخمسة الا النسائى

ومنها ان يختار جوامع الكلم ، أى الدعوات الجامعات للخير فعن عائشة رضى الله عنها قالت : **« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك »** •

ومنها التكرير ثلاثا فى الدعاء والاستغفار فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يدعو ثلاثا ويستغفر ثلاثا • وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم ، أمرهم فى بعض الأحوال ان يستغفروا سبعين مرة •

ومنها الا يتعجل الاجابة فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم : « **يستجاب لاحدكم ما لم يعجل • يقول قد دعوت ربى فلم يستجب لى** » • اخرجه الستة الا النسائى

ومنها ان لا يدعو على نفسه ولا على ولده ولا على ماله بسوء فعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على اموالكم لا توافق من الله ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم** » • أبو داود

ومنها أن يبدأ بنفسه اذا دعا لغيره ، فعن أبى بن كعب رضى الله عنه « قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دعا لأحد بدأ بنفسه » • **الترمذى** •

الأوقات التى ترجى فيها اجابة الدعاء

ومن الأوقات التى ترجى فيها اجابة الدعاء :

بين الاذان والاقامة • فعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا يرد الدعاء بين الاذان والاقامة** » قيل ماذا نقول يا رسول الله ؟ قال : « **سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة** » • اخرجه أبو داود والترمذى

وفى السجود . ففى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء** » . أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى

وفى السفر والمظلمة . فعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « **ثلاث دعوات مستجابات لا شك فى إجابتهن ، دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده** » . أبو داود والترمذى وعن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما من دعوة أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب** » . الترمذى وأبو داود أيضا .

عند النداء والصف ، وتحت المطر ، فعن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ثنتان لا تردان الدعاء عند النداء ، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا** » . أخرجه مالك وأبو داود وزاد فى رواية تحت المطر .

فاجتهد يا أخى أن تلح فى الدعاء ، وأن تكثر فى الاستغفار فى كل وقت وبخاصة فى هذه الأوقات ، وفى جوف الليل ووقت السحر فلعلك تصادف ساعة من رضوان الله وفيض نفحاته ، فتكون من المفلحين فى الدنيا والآخرة .

****

نماذج من الدعوات

من القرآن الكريم :

« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النــار »
البقــرة

« ربنــا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا • ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنــا به واعف عنــا واغفر لنــا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القــوم الكافرين » • البقــرة

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنــا من لدنك رحمة انك انت الوهــاب » • آل عمران

« ربنــا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » • آل عمران

« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار•ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة ، انك لا تخلف الميعاد » •
(آل عمران)

« ربنا ظلمنا أنفسنا ، وان لم تغفر لنــا وترحمنا ، لنكونن من الخاسرين » • الأعراف •

« رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ، ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » • ابراهيم

« وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا » • الاسراء

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنـــا من أمرنا رشدا » • الكهف

« لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين » • الأنبيـــاء •

« رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين » • المؤمنون

« ربنـــا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين ، واجعلنا للمتقين امــاما » • الفرقان

« رب هب لي حكما والحقني بالصالحين • واجعل لي لسان صدق في الآخرين • واجعلني من ورثة جنة النعيم » • الشعراء

« ربنا اغفر لنـــا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رءوف رحيم » • الحشر

« رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا » • نوح

في التحميد والثناء على الله تبارك وتعالى :

عن بريدة رضي الله عنه قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول : « **اللهم اني اسالك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد** » • فقال « **والذي نفسي بيده لقد سال الله باسمه الأعظم الذي اذا دعي به اجاب ، واذا سئل به اعطى** » • اخرجه ابو داود والترمذي

وعن انس رضى الله عنه قال : دعا رجل فقال اللهم انى اسألك بان لك الحمد لا اله الا انت المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاكرام ياحى يا قيوم ، **فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اتدرون بما دعا الرجل »** قالوا الله ورسوله أعلم قال : **« والذى نفسى بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى »** اخرجه أصحاب السنن .

فى الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم :

عن أبى مسعود العدوى رضى الله عنه قال . أتانا رسول الله ونحن فى مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك ؟ قال **« قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد ، والسلام كما علمتم »** . اخرجه الستة الا البخارى

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « اذا صليتم على رسول الله فأحسنوا الصلاة فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه . قال : فقالوا له فعلمنا . قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين ، وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك ، امام الخير ، وقائد الخير ورسول الرحمة . اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد » . ابن ماجه وقوفا باسناد حسن .

اللهم داحى المدحوات وداعم المسوكات ، وجابل القلوب على

فطرتها شقيها وسعيدها . اجعل شرائف صلواتك ، ونوامى بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والفاتح لما انغلق ، والمعلن الحق بالحق » أ. هـ (من نهج البلاغة) .

دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التهجـــد :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذاقام من الليل يتجهد قال : « **اللهم ربنا لك الحمد انت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد انت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت مالك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد انت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق ، وقولك حق والجنـــة حق ، والنـــار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت ، واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما اسررت وما اعلنت وما أنت اعلم به منى انت المقدم وانت المؤخر ، لا اله الا انت** » اخرجه الستة وهذا لفظ الشيخين .

من مناجاة أمير المؤمنين على كرم الله وجهه :

اخبر أبو عبد الله منصور بن ، كبان التسترى قال . اخبرنا محمد بن الحسن بن غراب قال حدثنا القاضى موسى بن اسحاق قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن ابى شيبة قال حدثنا محمد بن فضيل عبد الله الاسدى كان على بن ابى طالب رضى الله عنه يقول فىمناجاته .

الهى لولا ما جهلت من أمرى ، ما شكوت عثراتى ولولا ما ذكرت من الافراط ما سحت عبراتى ؟ الهى فامح مثبتات العثرات بمرسلات العبرات . وهب كثير السيئات لقليل الحسنات . الهى : ان كنت

لا ترحم الا المجد فى طاعتك • فانى يلتجىء المخطئون ، وان كنت لا تكرم الا أهل الاحسان ، فانى يصنع المسيئون وان كان لا يفوز يوم الحشر الا المتقون فكيف يستغيث المذنبون ، الهى افحمتنى ذنوبى وانقطعت مقالتى فلا حجة لى ولا عذر فأنا المقر بجرمى ، والمعترف باساءتى والأسير بذنبى المرتهن بعملى ، الهى : فصل على محمد وعلى آل محمد وارحمنى برحمتك وتجاوز عنى اللهم ان صغر فى جنب طاعتك عملى فقد كبر فى جنب رجائك املى ، الهى • كيف انقلب بالخيبة عندك محروما ، وظنى بجودك ان تقبلنى مرحوما • فانى لم اسلط على حسن ظنى بك قنوط الآيسين فلا تبطل صدق رجائى لك بين الآملين الهى عظم جرمى اذ كنت المتطالب به الهى ان اوحشتنى الخطايا من محاسن لطفك ، فقد آنسنى اليقين بمكارم عطفك الهى ان أماتتنى الغفلة عن الاستعداد للقائك ، فقد أنبهتنى المعرفة بكريم آلائك • الهى • لو لم تهدنى الى الاسلام ، ما اهتديت ، ولو لم تطلق لسانى بدعائك ما دعوت • ولو لم تعرفنى حلاوة نعمتك ما عرفت ولو لم يتبين لى شديد عقابك ما استجرت ، الهى ان أقعدنى التخلف عن السير مع الأبرار ، فقد اقامتنى الثقة بك على مدارج الأخيار • الهى : نفسى اعززتها بتأييد ايمانك كيف تذلها بين اطباق نيرانك • الهى كل مكروب فاليك يلتجى وكل محزون فاليك يرتجى • الهى سمع العابدون بجزيل ثوابك فخشعوا وسمع المذنبون بسعة غفرانك فطمعوا حتى ازدحمت عصائب العصاة ببابك ، وعج منهم اليك العجيج والضجيج بالدعاء فى بلادك • الهى : انت دللتنى على سؤالك الجنة قبل معرفتها ، فأقبلت النفس بعد العرفان على مسألتها أفتدل على خير بالسؤال ثم تمنعه ، وأنت الكريم المحمود فى كل ما تصنعه يا ذا الجلال والاكرام الهى : ان كنت غير مستأهل لما ارجو من رحمتك فأنت أهل أن تجود على

المذنبين بفضل سعتك • الهى نفسى قائمة بين يديك وقد اظلها حسن التوكل عليك • فاصنع بى ما انت أهله • وتغمدنى برحمة منك • الهى شهد جنانى بتوحيدك وانطلق لسانى بتمجيدك ودلنى القرآن على فضل جودك ، فكيف لا يتحقق رجائى بحسن موعدك • الهى كأنى بنفسى وقد اضطجعت فى حفرتها وانصرف عنها المشيعون من عشيرتها ورحمها المعادى لها فى الحياة عند صرعتها ، ولم يخف على الناظرين اليها ذل فاقتها وقالت الملائكة غريب نأى عنه الأقربون ، وبعيد جفاه الأهلون ، وخذله المؤملون نزل بنا قريبا فأصبح فى اللحد غريبا ، وقد كنت فى دار الدنيا داعيا ورحمتك اياى فى هذا اليوم راجيا فأحسن ضيافتى وكن أشفق على من أهلى وقرابتى • الهى سترت على فى الدنيا ذنوبا فلم تظهرها فلا تفضحنى يوم القاك على رءوس العالمين بهـا • واسترها على يا ارحم الراحمين هنا لك الهى مسكنتى لا يجبرها الا عطاؤك وامنيتى لا يفيها الا نعاؤك • الهى أستوقفك لمـا يدنينى منك ، واعوذ بك مما يصرفنى عنك • الهى : أحب الأمور الى نفسى وأعودها على منفعة ما استرشدتها بهدايتك اليه ، ودللتها برحمتك عليه فاستعملها بذلك عنى اذ انت ارحم بها منى ، يا أنيس كل غريب آنس فى القبر وحشتى وارحم وحدتى • ويا عالم السر والأخفى • ويا كاشف الضر والبلوى • كيف نظرك لى من بين ساكنى الثرى وكيف صنيعك لى فى دار الوحشة والبلى قد كنت بى لطيفا فى حياتى ، فلا تقطع برك عنى بعد وفاتى • يا أفضل المنعمين فى آلائه وأكرم المتفضلين فى نعمائه كثرت عندى أياديك فعجزت عن احصائها وضقت ذرعا فى شكرى للمسائل بجزائها ، فلك الحمد على ما اوليت ، ولك الشكر على ما ابليت يا خير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج يا حنان يا منان ياذا الجلال والاكرام يا حى يا قيوم يا من له الخلق

و الأمر تباركت يا احسن الخالقين يا رحيم يا قدير يا كريم : صلى على محمد وآله الطيبين آمين • اه ملخصا من كتاب لطائف اخبار الآل •

من مناجاة ابن عطاء الله السكندرى :

الهى كيف تكلنى الى نفسى ، وقد توكلت لى ، وكيف اضام وانت الناصر لى ، ام كيف اخيب وانت الحفى بى ، هأنا اتوسل اليك بفقرى اليك • الهى كلما اخرسنى لؤمى انطقنى كرمك وكلما ايستنى اوصاف اطمعتنى مننك الهى من كانت محاسـنه مسـاوىء ، فكيف لا تكون مساويه مساوىء ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لا تكون دعاويه دعـاوى •

متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك • عميت عين لا تراك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيبا • الهى هذا ذلى ظاهر بين يديك ، وهذا حالى لا يخفى عليك ، منك اطلب الوصول اليك ، وبك استدل عليك اهدنى بنورك اليك ، واقمنى بصدق العبودية بين يديك ، الهى علمنى من علمك المخزون وصنى بسر اسمك المصـون • بك انتصر فانصرنى وعليك اتوكل فلا تكلنى واياك اسأل فلا تخيبنى ، وفى فضلك ارغب فلا تحرمنى ولجنابك انتسب فلا تبعدنى ، وبيابك اقف فلا تطردنى • الهى تقدس رضاك ان تكون له علة منك ، فكيف تكون له علة منى • انت الغنى بذاتك عن ان يصل اليك النفع ، فكيف لا تكون غنيا عنى • انت الذى اشرقت الأنوار فى قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك • أنت الذى أزلت الاغيار عن قلوب أحبابك حتى لم يحبوا سواك ، ولم يلجأوا الى غيرك • انت المؤنس لهم حيث اوحشتهم العوامل وانت الذى هديتهم حتى استبانت لهم المعالم • فاذا وجد

من فقدك وما الذى فقد من وجدك لقد خاب من رضى دونك بدلا ولقد خسر من بغى عنك متحولا الهى كيف يرجى سواك • وانت ما قطعت الاحسان وكيف يطلب من غيرك وانت ما بدلت عادة الامتنان ، يا من اذاق احباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين ، ويا من البس أوليـاءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين أنت الذاكر من قبـل الذاكرين وانت البادىء بالاحسان ، من قبل توجه العابدين وانت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين • وأنت الوهاب ثم انت لمـا وهبتنا من المستعرضين • الهى اطلبنى برحمتك حتى اصل اليك واجذبنى بمنتك حتى اقبل عليك • الهى ان رجائى لا ينقطع عنك وان عصيتك كما ان خوفى لا يزاملنى وان اطعتك • الهى قد ، دفعتنى العوالم اليك : وقد اوقفنى علمى بكرمك عليك الهى كيف اخيب وانت املى ، ام كيف اهان وعليك متكلى يا من احتجب فى سرادقات عزه عن ان تدركه الابصار يا من تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمة الاسرار كيف وانت الظاهر ام كيف تغيب وانت الرقيب الحاضر انتهى بتصرف •

من دعوات السيد احمد الرفاعى :

اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيبدعوة المضطرين،رحمنالدنيا والآخرة ورحيمها انت ترحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك لا اله الا انت يارب كل شىء سبحانك لا اله الا انت يا وارث كل شىء يا حى يا قيوم ياذا الجلال والاكرام يا ارحم الراحمين يا على يا عظيم يا صمد يا فرد يا واحد يا احد يا من بيده الخير وهو على كل شىء قدير نسألك توكلا خالصا عليك ورجوعا فى كل الأحوال اليك واعتمادا على فضلك واستنادا لبابك يا عالم السر والنجوى ، يا كاشف الضر والبلوى ، يا من تضرع اليه قلوب المضطرين وتعول عليه همم المحتاجين ، نسألك اللهم بمعاقد

العز من عرشك وبمنتهى الرحمة من كتابك وباسمك العلى الأعلى وبكلماتك التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر وباشراق وجهك أن تصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وذريته وان تحفنا بالطافك الخفية حتى نرفل بحلل الأمان من خوارق الحدثان وعلائق الاكوان واشراك الحرمان وغوائل الخذلان ، ودسائس الشيطان وسوء النية وظلمة الخطية ، اللهم امنحنى قلبا لا ينصرف فى آماله الا اليك ولبا لا يحول فى ا حواله الا عليك وقلبنى على بساط المعرفة بقوة التوحيد واليقين ، وأيدنى بك لك بما ايدت به عبادك الصالحين . اللهم اسلك بى طريق نبيك المصطفى سيد المقربين الاحباب ، واوزعنى أن اشكر نعمتك باتباعه عليه الصلاة والسلام بطريقة الحق والصواب . اللهم انى اعوذ بك من علم لاينفع ، وعمل لايرفع ، وقلب لايخشع ، ودعاء لايسمع ، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنــا من امرنا رشدا . اللهم حققنى بحقيقته الصديقية ، واذقنى حلاوة اليقين بصدق النية ، وخالص الطوية ولا تكلنى لنفسى ، ولا لأحد من خلقك طرفة عين يا أرحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . ا هـ من حزب الوسيلة بتصرف .

من دعوات السيد أحمد بن ادريس :

« اللهم انت الله الملك الحق المبين القديم المتعزز بالعظمة والكبرياء المنفرد بالبقاء الحى القيوم المقتدر الجبار القهار الذى لا اله الا انت ربى وانا عبدك عملت سوءا وظلمت نفسى ، واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى كلها فانه لا يغفر الذنوب الا أنت . اشهد انك ربى ورب كل شىء فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة العلى الكبير المتعال . اللهم انى اسألك الثبات فى الأمر والعزيمة على الرشــد والشكر على نعمك واسألك حسن عبادتك واسألك من خير كل ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم انك انت علام الغيوب » ا هـ .

من دعوات أبى الحسن الشاذلى :

يا الله يا لطيف يا رزاق يا قوى يا عزيز لك مقاليد السموات والأرض تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر فابسط لنـــا من الرزق ما توصلنا به الى رحمتك ومن رحمتك ما تحول به بيننا وبين نقمتك ، ومن حلمك ما يسعنا به عفوك ، واختم لنـــا بالسعادة التى ختمت بها لاوليائك ، واجعل خير أيامنا واسعدها يوم لقائك . وزحزحنا فى الدنيا عن نار الشهوة وادخلنا بفضلك فى ميادين الرحمة واكسنا من نورك جلاليب العصمة واجعل لنا ظهيرا من عقولنا ومهيمنا من أرواحنا ومسخرا من أنفسنا كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا .

اللهم أنى أسألك لسانا رطبـــا بذكرك وقلبا مفعما بشكرك ، وبدنا هينا لينا بطاعتك ، وأعطنا مع ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، كما اخبر به رسولك صلى الله عليه وسلم حسب ما علمته بعلمك ،واغننا بلا سبب واجعلنا سبب الغنى لأوليائك ، وبرزخا بينهم وبين اعدائك انك على كل شىء قدير . اللهم انا نسألك ايمانا كاملا ونسألك قلبا خاشعا ونسألك علما نافعا . ونسألك يقينا صادقا ، ونسألك دينا قيما . ونسألك العافية من كل بلية ، ونسألك تمام الغنى عن الناس ، اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على طاعتك ، وعن معصيتك وعن الشهوات الموجبات للنقض ، أو البعد عنك ، وهب لنـــا حقيقة الايمان بك حتى لا نخاف ولا نرجو غيرك ، ولا نعبد شيئا سواك ، وأوزعنا شكر نعمائك وغطنا برداء عافيتك وانصرنا باليقين والتوكل عليك ، واسفر وجوهنا بنور صفاتك واضحكنا وبشرنا يوم القيامة بين أوليائك ، واجعل يدك مبسوطة علينا وعلى اهلينا وأولادنا ومن معنا برحمتك ، ولا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك

يا نعم المجيب • وصلى الله على سيدنا محمد النبى الكريم وعلى آله وصحبه اجمعين • (انتهى من حزب البر بتصرف)

من دعوات الامام الشافعى رضى الله عنه :

« اعوذ بك من مقام الكافرين و اعراض الغافلين اللهم لك خضعت نفوس العارفين ودنت لك رقاب المشتاقين • اللهم هب لى وجودك وجللنى بستر واعف عن تقصيرى بكرم وجهك » ا هـ من الاحياء •

نماذج من منثور الدعاء :

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه « **اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى واصلح لى دنياى التى فيها معاشى واصلح لى آخرتى التى فيها معادى واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر** » اخرجه مسلم

عن انس رضى الله عنه قال كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم « **اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** » الشيخان وابو داود

عن على كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم علم بعض اصحابه ان يقول : « **اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك** » • الترمذى والنسائى

عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء** » • الشيخان والنسائى

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **اللهم اعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن دعاء لا يسمع . ومن نفس لا تشبع . ومن علم لا ينفع . اعوذ بك من هؤلاء الاربع** » . الترمذى والنسائى

من حديث شداد بن أوس كان صلى الله عليه وسلم يقـــول :

« **اللهم انى اسألك الثبات فى الأمر والعزيمة فى الرشد واسألك قلبا خاشعاً سليماً وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لمـــا تعلم فانك تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب** » . الترمذى .

من حديث معاذ كان صلى الله عليه وسلم يقول : « **انى اســألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين اسألك حبك وحب من احبك وحب كل عمل يقرب الى حبك وان تتوب على وتغفر لى وترحمنى واذا اردت بقـــوم فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون** » . الترمذى والطبرانى

من حديث ابن مسعود : « **اللهم انى أسألك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفذ وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فى جنـــة الخلد** » .

* * *

خاتمـــــة

أيها الأخ ــ استعن ربك واحضر قلبك وارفع الى الله حاجتك واختم بالصلاة والسلام على النبى وآله واجعل آخر كلامك لتكتال بالمكيال الأوف : سبحان ربك رب العزة عمـا يصفون وسلام على المـرسلين والحمد لله رب العالمين ..

* * *

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
الله فى العقيدة الاسلامية	٧
أسلوب البحث	٨
عناصر العقيدة الاسلامية	٩
الله فى العقيدة الاسلامية ـ تطور عقيدة الألوهية	١٥
دليل الفطرة أول الأدلة	١٧
من الأدلة على صدق العقيدة فى الله	١٩
من شهادات علماء الكون	٢٠
قصور العقل الانسانى	٢٢
أى الطريقين خير	٢٣
القضاء والقدر	٢٥
الايمان بالله هو الدواء	٢٦
الله فى العقيدة الاسلامية ـ الأخطاء التى وقعت فيها الشعوب فى عقيدة الألوهية وموقف القرآن منها	٢٧
قوم نوح	٢٨
قوم ابراهيم	٢٩
قوم موسى	٣٢
قوم الياس ـ الوثنية فى بلاد العرب	٣٤
الى الشباب والى الطلبة خاصة	٤١

الموضوع	الصفحة
دعوة الاخوان المسلمين أو دعوة الاسلام فى القرن الرابع عشر الهجــــرى	٤٦
رســـــالة الجهـــاد	٥٧
الجهاد فريضة على كل مسلم	٥٩
بعض آيات الجهاد فى كتاب الله	٦٠
نماذج من الأحاديث النبوية فى الجهاد	٦٥
حكم الجهاد عند فقهاء الأمة	٧٤
لماذا يقــاتل المسلم ؟	٧٨
الرحمة فى الجهاد الاســـلامى	٨٠
ما يلحق بالجهاد	٨٢
خاتمـــــــة	٨٣
المنـــــــاجاة	٨٥
فضل قيام الليل ووقت السحر ــ ماجاء فيه من الآيات القرآنية	٨٩
ومن الأحاديث الشريفة	٩١
ومن المأثور عن السلف رضوان الله عليهم فى ذلك	٩٤
فضل الدعاء والاستغفار وآدابهمـــا	٩٦
ماجاء فى ذلك من الآيات الكريمة	٩٧
ومن الأحاديث الشريفـــة	٩٨
آداب الدعــــــاء	١٠٠
الأوقات التى ترجى فيها اجابة الدعاء	١٠٢
نماذج من الدعوات ــ من القرآن الــكريم	١٠٥
فى التحميد والثناء على الله تبارك وتعالى	١٠٦
فى الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم	١٠٧
دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التهجد ــ من مناجاة أمير المؤمنين على كرم الله وجهــه	١٠٨

الموضوع	الصفحة
من مناجاة ابن عطاء الله السكندري	١١١
من دعوات السيد أحمد الرفاعى	١١٢
من دعوات السيد أحمد بن ادريس	١١٣
من دعوات أبى الحسن الشاذلى	١١٤
من دعوات الامام الشافعى رضى الله عنه ــ نماذج من منشــور الدعـــــاء	١١٥
خاتمـــــــة	١١٧

دار العلوم للطباعة
القاهرة ٨١ شارع حسين حجازى (القصر العينى)
ت ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب
٧٧/١٨٦٢
الترقيم الدولى ٢ــ٢٨ــ٥٣ــ٧٠ــ٩٧٧

دار الشهاب

To: www.al-mostafa.com